مسرحية

الجرائم أنواع

كوميديا فى أربعة فصول

تأليف : أوجست سترندبرج

ترجمة وتقديم : محمد توفيق مصطفى

١٥١

العنوان الأصلي للمسرحية •

THERE ARE CSIMES AND CRIMES

By

August Strindberg

Eight Famous Plays af Strindberg

Duckworth

شخصيات المسرحية

Maurice, a playwright	مؤلف مسرحى	موريس
Jeanne, his Mistress	صديقته	جين
Marion, their daughter, aged Five.	ابنته . سن خمس سنوات	ماريون
Adolphe, An Artist.	مصور	أدولف
Henriette, his Mistress	صديقته	هنرييت
Emile, Jeanne's brother, a Workman.	عامل . اخو جين	اميل
Madam Cathérine, proprietress of the Crémerie.		مدام كاثرين
Abbé		القسيس
A Keeper, in the Cemetery.		حارس المقابر
The Head Waiter.		رئيس خدم المقهى
The Commessaire.		شرطى
Two Detective		ضابطا مباحث
A Waiter		خادم المقهى
A Keeper		حارس
A Serving Girl		خادمة

المنـــاظــــــر

الفصل الاول :

المنظر الاول	المدافن
المنظر الثانى	محل بيع الالبان

الفصل الثانى :

المنظر الاول	اوبرج الآدريه
المنظر الثانى	غابة بولونيا

الفصل الثالث :

المنظر الاول	محل بيع الالبان
المنظر الثانى	اوبرج الآدريه

الفصل الرابع :

المنظر الاول	حدائق لوكسمبورج
المنظر الثانى	محل بيع الالبان

جميع المشاهد فى مدينة باريس

* * *

الفصل الأول

المنظر الاول

الشارع العلوى المحفوف بأشجار الصفصاف في مدافن مونبارناس في باريس . تبدو في الخلفية كنائس دفن صغيرة و صلبان من الحجر عليها عبارات دينية ، وبقايا طاحونة هواء مغطاة بنباتات متسلقة .

امرأة أنيقة الملبس في ثياب الحداد راكعة تتمتم بصلاة أمام قبر مغطى بالزهور .

جين تتمشى ذهابا وجيئة كمن تنتظر أحدا .

ماريون تلعب ببعض الزهور الذابلة التى التقطتها من كومة نفايات على الأرض .

القسيس يقرأ في كتاب صلواته وهو يتمشى في الطرف الآخر من الشارع .

حارس المقابر : (يدخل ويتجه الى جين) اسمعى ، هذا ليس ملعبا .

جـــين : (في خضوع) انما انتظر انسانا سيكون هنا على الفـــور . . .

الحارس : وهو كذلك . ولكنه غير مسموح لك بقطف الزهور .

جـــين : (الى ماريون) ارم الزهور ياعزيزتى .

القسيس : (يتقدم فيحييه الحارس) ألا تستطيع الطفلة أن تلعب بالزهور التى اطّرحت ؟

الحـــارس : ان التعليمات لا تسمح لأحد بأن يلمس حتى الزهور التى اطّرحت ، لأن المعتقد أنهـــا قد تنشر العدوى . . . الأمر الذى لا أعرف مدى صحته .

القسيس : في هذه الحالة علينا أن نطيع بالطبع . ماسمك يا فتاتى الصغيرة ؟

ماريـــون : اسمى ماريـــون .

القسيـــس : ومن أبـــوك ؟

(تعض ماريون على احدى أصابعها ولاتجيب)

القسيـــس : معذرة لسؤالى ياسيدتى . لم يكن قصدى . . . انما كنت اتحدث لمجرد ايناس الصغيرة .

(الحارس يكون قد خرج)

جـــين : لقد فهمت هذا أيها الأب المحترم ، وبودى لو تقول شيئا لايناسى أنا الأخرى . فانى أشعر بقلق شديد بعد أن انتظرت هنا ساعتين .

القسيـــس : ساعتان . . . في انتظاره ! لكم يعذب هؤلاء البشر بعضهم بعضا . يا أرحم الراحمين ارحمنا

جـــين : ما معنى هذه الكلمات التى ترددها هنا في كل مكان .

القسيـــس : معناها : يا الله أنت أملنا الأوحـــد .

جـــين : وهل هو الأمل الأوحـــد ؟

القسيـــس : الأمل الأوحد الذى لن يخيب .

جـــين : سأصدق وشيكا أنك على حق يا أبى .

القسيـــس : هل لى أن أسأل لمـــاذا ؟

جـــين : لقد أدركت الجواب بالفعل . فعندما يـــترك المرأة والطفلة ساعتين تنتظران بين المقابـــر تكون النهاية قد اقتربت .

القسيـــس : وعندما يتركهما ماذا يحدث ؟

جــين : اذ ذاك نلتقي بنفسينا في النهر .

القسيـــس : أوه ، لا لا .

جــين : بل نعـــم ، نعـــم .

ماريـــون : ماما ، اريد أن أذهب الى البيت لأنى جائعة ،

جــين : بعد قليل يا عزيزتى سنعود الى البيت .

القسيـــس : ويل لأولئك الذين يسمون الشر خيرا والخير شرا .

جــين : ماذا تفعل تلك المرأة هناك عند ذلك القبر ؟

القسيـــس : يبدو أنها تكلم الموتى .

جــين : ولكن هذا غير ممكن .

القسيـــس : يبدو أنها تعرف الطريقة .

جــين : قد يعنى هذا أن نهاية الحياة ليست نهاية شقائنا.

القسيـــس : أولا تعلمين هـــذا ؟

جــين : وأنّى لى علمُه ؟

القسيـــس : هم . . . . . م . . . اذا شعرت مرة أخـــرى بحاجة الى علم هذا الأمر الواضح فتعـــالى لزيارتى في كنيسة سان جرمان . . . هاقـــد

أقبل الشخص الذى تنتظرينه على ما أظن .

جـــين : (متضايقة) لا ، ليس هو ، ولكننى أعرفه .

القسيـــس : (لماريون) وداعا ياماريون الصغيرة . رعاك الله . (يقبل الطفلة ويخرج) في كنيسة ســـان جرمان .

اميـــل : (يدخل) صباح الخير يا أختى . ماذا تفعلين هنا ؟

جـــين : انتظر موريس .

اميـــل : اذن فعليك ان تنتظرى طويلا ، لأنى رأيته في الشارع الكبير منذ ساعة يتناول طعام الافطار مع بعض أصدقائه . (يقبل الطفلة) صبـــاح الخير ياماريـــون .

جـــين : وسيدات أيضا ؟

اميـــل : بالطبع . ولكن هـــذا لايعنى شيئا فهو يكتب المسرحيات وستعرض آخر مسرحياته الليلة . واعتقد انه كان معه بعض الممثلات .

جـــين : هل عرفـــك ؟

اميـــل : لا ، انه لايعرف من أنا ، وهذا خير . فأنـــا

أعرف مكانى كعامل ولا آبه لأى تنازل ممـــن هم أعلى منى مرتبه .

جـــين : ولكن إذا تركنا وليس لدينا ما نقتات به ؟

اميـــل : اذا وصل الأمر الى هذا الحد أعتقد أننى يجب أن أقدم نفسى . ولكنك لا تتوقعين شيئا من هذا النوع . اليس كذلك ؟ اذ أرى أنه مغرم بك وشديد التعلق بالطفلة .

جـــين : لا أدرى . ولكن لدى شعورا بأن شيئا مروّعا ينتظرنى .

اميـــل : هل وعدك بالزواج ؟

جـــين : لا ، لم يعد بالضبط ، وانما عقد آمالا .

اميـــل : نعم ، آمال ! اتذكرين كلماتى منذ البداية : لاتوأملى في شيء لأن أولئك الذين يعلوننـــا لايتنازلون للزواج منا .

جـــين : ولكن مثل هذا قد حدث .

اميـــل : نعم حدث . ولكن هل ستشعرين بالاطمئنان في عالمه ؟ لا أستطيع أن أصدق ذلك . لأنكلن تستطيعى حتّى ان تفهمى فيم يتكلمون . انى اتناول طعامى بين حين وآخر في المكانالذى

يأكل فيه ، مكانى في المطبخ بالخارج طبعـــا ولا أستطيع ان افهم كلمة واحدة مما يقولون.

جـــين : اذن فأنت تتناول طعامك في ذلك المكان ؟

اميـــل : نعم ، في المطبخ .

جـــين : وتصور أنه ما طلب منى قط ان أرافقه .

اميـــل : هذا فضل منه . وهو يدل على أنه يكن بعض الاحترام لأم طفلته . فالنساء اللاتى هنـــاك مجموعة عجيبـــة .

جـــين : اهكـــذا ؟

اميـــل : ولكن موريس لا يلقى بالا للنساء . هناك شيء من الاستقامة في طبع هذا الرجل .

جـــين : هذا ما أتوسمه فيه أنا أيضا ، ولكن بمجرد أن تدخل في المسألة امرأة لا يكون للرجل على حاله بقـــاء .

اميـــل : (مبتسما) أولا أعلم ذلك ! ولكن اسمعى ، أأنت في حاجة الى نقـــود . ؟

جـــين : لا ، لاشيء من هذا القبيل .

اميـــل : طيب . واذن فلم يقع بعد أسوأ ما في الأمر...

انظرى هناك ، انه قادم . سأتركك . وداعا أيتها الصغيرة .

جـــين : أهو قادم ؟ نعم انه هو .

اميـــل : لا تثيريه الآن بغيرتك يا جين . (يخرج)

جـــين : لا ، لن أفعـــل .

(يدخـــل موريس)

ماريـــون : (تجرى اليه فيرفعها بين ذراعيه) بابا ، بابا .

موريـــس : يافتاتى الصغيرة . (يحي جين) أتغفرين لى يا جين ان جعلتك تنتظرين هذه الفترة الطويلة؟

جـــين : بالطبع أغفر لك .

موريـــس : ولكن قوليها بطريقة تشعرنى بأنك غفرت لى .

جـــين : تعال هنا ودعنى أهمس بها في أذنك .

(موريس يقترب منها . جين تقبله على خده)

موريـــس : لم أسمع .

(جين تقبله على فمه)

موريـــس : الآن سمعت . وعلى ما تعلمين اعتقد أن هذا اليوم هو الذى سيقرر مصيرى . ستعرض

مسرحيتى الليلة . وكل الفرص مهيأة لنجاحها . . . أو فشلها .

جـــين : سأستوثق من النجاح بالدعاء لك .

موريـــس : شكرا لك . ان لم تنفعنى دعواتك فهى لن تضرنى على الأقل . انظرى بعيدا هناك ، في بطن الوادى حيث الضباب أكثف ما يكون هناك ترقد باريس . اليوم لاتعرف باريس من هو موريس ، ولكنها ستعرف في خلال أربع وعشرين ساعة . ان الضباب الذى لفنى في الظلمة ثلاثين عاما سيتلاشى أمام أنفاسى فترانى الأعين واتخذ شكلا محددا وأصبح انسانا مرموقا . وأعدائى ، وأعنى بهم كل أولئك الذين يتمنون أن يفعلوا ما فعلت ، سوف يتلوون ألما يبعث في نفسى السرور ، لأنهم يعانون كل ما عانيت .

جـــين : لاتتكلم بهذه الطريقة .

موريـــس : ولكنها هى الحقيقة .

جـــين : نعم ولكن لا تتكلم عنها . . . وبعد ذلك ؟

موريـــس : بعد ذلك سنغدو على أرض صلبة ، واذ ذاك ستحملين انت وماريون الاسم الذى جلبت له الشهرة .

جـــين : اتحبـــنى اذ ذاك ؟

موريـــس : احبكما جميعا ، وعلى سواء في فرط الحب . أو لعل ماريون أكثر قليلا .

جـــين : يسعدنى هذا . لأنك قد تسأمنى أنا ، أما هى فلا .

موريـــس : ألا ثقة لك في مشاعرى نحوك ؟

جـــين : لا أدرى ، ولكنى خائفة من شيء ما ، خائفة من شيء رهيـــب . . .

موريس : انك متعبة متضايقة نتيجة الانتظار الطويل الذى ارجوك مرة أخرى أن تغفريه . ما هذا الذى تخافينه ؟

جـــين : غير المتوقع : ذلك الذى قد ترقبه دون أى سبب خاص يدعوإلى ذلك .

موريس : ولكنى لا أتوقع غير النجاح ، ولدى أسباب خاصة لذلك : من دقة احساس رجال الادارة

المسرحية ومعرفتهم بالجمهور ، ناهيك عن معرفتهم الشخصية للناقدين . وبذا يحق لنا الآن أن نبتهــج . .

جــين : لا أستطيع ، لا أستطيع . أتعلم انه كان هنا منذ لحظة قسيس تحدث الينا حديثا جميلا . ان ايمانى ، الذى لا اقول انك محوته ، بــل ظللته بمثل ما تضع الطباشير على زجاج النافذة لتجلوه ، لم استطع التشبث به لهذا السبب . ولكن بمجرد أن مر هذا العجوز بيده على الطباشير نفذ النور فكشف عن أن أهل البيت ما زالوا مقيمين فيه . . . سأصلى لك الليلــة في كنيسة سان جرمان .

موريس : لقد بدأت استشعر الخوف .

جــين : ان مخافة الله هى بداية الحكمة ؟

موريس : الله ؟ لم تذكرينه ؟

جــين : لأنه هو الذى وهبك المسرة في شبابك والفتوة في رجولتك . وهو الذى سيتولانا في الملمات التى تنتظرنا .

موريس : ما الذى ينتظرنا ؟ ماذا تعرفين ؟ من أين لك علم هذا الشيء الذى لا أعلمه؟

جين : لست أدرى . لم أحلم بشيء ولا رأيت أو سمعت شيئا . ولكنى خلال هاتين الساعتين الرهيبتين عانيت من الألم غايته حتى أصبحت مستعدة لأسوأ ما قد يقع .

ماريون : أريد أن اذهب الى البيت الآن يا ماما ، لأنى جائعة .

موريس : نعم ستذهبين الآن الى البيت يا حبيبتى الصغيرة (يأخذها بين ذراعيه)

ماريون : (تنتفض) أوه ، انك تؤلمنى يابابا .

جين : نعم يجب ان تعود الى البيت للعشاء . وداعا اذن ياموريس . اتمنى لك حظا سعيدا .

موريس : (لماريون) كيف آلمتك ؟ ألا تعلم فتاتى الصغيرة انى اريد ان اكون لطيفا معها دائما؟

ماريون : اذا كنت لطيفا تعال معنا الى البيت .

موريس : (الى جين) عندما أسمع الطفلة تتكلم على هذا النحو أشعر وكأننى مسوق الى فعل ما تقول .

ولكن العقل والـــواجب يقفان في سبيلى . . .
وداعا يافتاتى العريزة الصغيرة .

(يقبل الطفلة التى تضع ذراعيها حول رقبته)

جـــين : متى نلتقى ثانيـــة ؟

موريس : سنلتقى غدا يا عزيزتى . اذ ذاك لن نفترق أبدا.

جـــين : (تعانقه) ابدا ابدا لن نفترق . (ترسم علامة الصليب على جبينه) رعاك الله .

موريس : (متأثرا بالرغم منه) يا حبيبتى العزيزة جين.
(جين وماريون تخرجان من اليمين . موريس من اليسار . كلاهما يستدير ويشير بالقبلات).

موريس : (يعود) جين . انا خجلان من نفسى . انى أنساك دائما وأنت آخر من يذكرنى بـــذلك. هاك التذاكر لحفلة الليلة .

جـــين : شكرا لك يا عزيزى . ولكن عليك أن تأخذ مكانك في العمل وحدك ، كما آخذ أنا مكانى . . . مع ماريـــون .

موريس : ان رجاحة عقلك عظيمة كطيبة قلبك . نعم

فأنا واثق من أنه ما من امرأة أخرى كانت تقدم على التضحية باحدى المتع خدمة لزوجها. يجب ان تكون يداى طليقتين الليلة ولا محل للنساء والأطفال في حلبة الصراع . . . وهذاما تدركينه .

جين : لا تحسن الظن كثيرا بامرأة مسكينة مثلى لكيلا يخيب لك ظن فيما بعد . والآن ستشهد انى يمكن ان اكون كثيرة النسيان مثلك . . . لقد اشتريت لك رباط عنق وقفازا لكى تلبسهما هدية منى في يوم تكريمك .

موريس : (يقبل يدها) شكرا لك يا عزيزتى .

جين : وبعدها ياموريس لاتنس أن ترجل شعرك كما تفعل دائما . اريدك أن تبدو جميل الطلعة كيما يحبك الآخرون مثلى .

موريس : أنت مجردة من الغيرة !

جين : لا تذكر هذه الكلمة لأنها منبع لأفكار الشر.

موريس : انى لأشعر الآن بأننى استطيع ان اتخلى عن انتصار هذه الليلة . . . لأننى سأكسب . . .

جـــين : اسكت . . . اسكت . . .

موريس : وأذهب معك الى البيت بدلا من ذلك .

جـــين : ولكن يجب ألا تفعل ذلك ! اذهب الآن. ان حظك في انتظارك .

موريس : وداعا اذن . وليكن ما هو كائن ! (يخرج)

جـــين : (وحيدة مع ماريون) يا أرحم الراحمين ارحمنا

المنظر الثاني

محل بيع الألبان . الى اليمين بوفيه عليه حوض أسماك تسبح فيه أسماك ذهبيه ، وأطباق بها خضروات – وفاكهة ومعلبات الخ . في المؤخرة باب يؤدى الى المطبخ حيث يتناول العمال طعامهم . في الطرف الآخر من المطبخ يشاهد باب يؤدى الى حديقة . الى اليسار في المؤخرة طاولة على رصيف مرتفع وراءها أرفف تحمل انواعها مختلفة من الزجاجات . الى اليمين مائدة مستطيلة ذات سطح من الرخام موضوعة بجوار الحائط ، واخرى موازية لها وعلى بعد منها وحول المنضدتين كراسى ذات مقاعد من القش . الجدران مغطاة برسوم زيتية . مدام كاثرين جالسة الى الطاولة . موريس يقف متكئا عليها . قبعة على رأسه ويدخن سيجارة .

مدام كاثرين : اذن فالليلة يقع الحادث العظيم ياسيد موريس.

موريس : نعم الليـــلة .

مدام كاثرين : هل تشعر باضطراب ؟

موريس : بل هـــادئ كالزرع .

مدام كاثرين : أتمنى لك حظا سعيدا على كل حال . وانـــت جدير به يا سيد موريس بعد ان كافحت كل تلك الصعاب التى اعترضتك .

موريس : شكرا لك يامدام كاثرين . لقد كنت شديدة العطف على ولـــولا معونتك لكنت الآن في عداد الفاشلين المغمورين .

مدام كاثرين : فلنكف الآن عن الكلام في ذلك . فأنا ابـــذل معونتى حيث أرى العمـــل الجـــاد والارادة الصحيحة ، ولكنى لا احب أن أستغـــــل . أنستطيع أن نثق في أنك ستعود الى هنا بعـــد المسرحية لنشرب معك كأسا ؟

موريس : نعم ، بالطبع . كما سبق ان وعدتك .

(تدخل هنرييت من اليمين . موريس يستدير ويرفع قبعته ويحملق في هنرييت التى تتفرسه بعنايـــة)

هنرييت : ألم يحضر السيد أدولف بعد ؟

مدام كاثرين : لا ياسيدتى . ولكنـــه سيكون هنا حالا . ألا تتفضلين بالجلوس ؟

هنرييت : لا ، شكرا لك . أفضل انتظاره في الخارج . (تخـــرج)

موريس : من . . . هـــذه ؟

مدام كاثرين : انها صديقة السيد ادولف .

موريس : أهـــذه هى ؟

مدام كاثرين : ألم ترها أبدا من قبـــل ؟

موريس : لا ، لقد كان يخفيها عنى وكأنما كان يخشى أن أنتزعها منه .

مدام كاثرين : ها ها ! طيب . وكيف رأيتها ؟

موريس : كيف رأيتها ؟ دعينى أر : لا أستطيع أن أقول ، فأنا لم أرها . لكأنما اندفعت رأسا الى مـــا بين ذراعى ودنت منى الى حد أننى لم أستطع تميز ملامحها ابدا ، ثم خلفت شبحها في الهواء وراءها . مازلت استطيع أن أراها واقفة هناك .

(يذهب نحو الباب ويشير كمن يضع ذراعيه

حول انسان ما) انها تضع دبابيس حول خصرها انها من النوع الذى يخــز . (يقفز ويشير كأنما وخز في اصبعه)

مدام كاثرين : أوه ، انك مجنون . . . مجنون بنسائك .

موريس : نعم انه الجنون . الجنون بعينه . ولكن اتعلمين يا مدام كاثرين انى سأنصرف قبل ان تعود ، والا ، والا . . . أوه . . . ان هذه المرأة مرعبة !

مدام كاثرين : أأنت خائــــف .

موريس : نعم . خائف على نفسى ، وعلى آخرين أيضا .

مدام كاثرين : طيب ، انصرف اذن .

موريس : لقد بدا لى انها شفطت نفسها من خلال الباب فثارت في اثرها زوبعة صغيرة شدتنى اليها . نعم ، لك أن تضحكى ، ولكن ألا تستطيعين أن ترى أن اليد المستندة الى البوفيه هناك مــا زالت ترتعش ؟ انها شيطانة بلاشك !

مدام كاثرين : أوه ، اخرج من هنا أيها الرجل قبل انتفقد بقية عقلك .

موريس : أريد أن أذهب ولكنى لا أستطيع أتؤمنين بالقدر يامدام كاثرين ؟

مدام كاثرين : لا ، بل أومن برب رحيم يقينا من قوى الشر إذا دعوناه مخلصين .

موريس : اذن فهناك قوى للشر في النهاية ! اعتقد انى استطيع سماعها في الردهة الآن .

مدام كاثرين : نعم فحفيف ثيابها يشبه صوت البائع حين يقطع لك مزقا من قماش . اذهب الآن . . . عن طريق المطبخ .

(موريس يندفع نحو باب المطبخ حيث يصطدم بأميل)

اميـــل : ارجوك المعذرة . (ينسحب من حيث جاء)

ادولف : (يدخل أولا تليه هنرييت) أوه ، هاهو موريس . كيف حالك ؟ اسمح لى أن أقدم هذه السيدة التى معى لأقدم وأعز صديق . الآنسة هنرييت . . . السيد موريس .

موريس : (محييا باقتضاب) مسرور برؤيتك .

هنرييت : لقد تقابلنا من قبل .

ادولف : أهذا صحيح ؟ متى ؟، إذا كان لى أن أسأل .

موريس : منذ لحظة . في نفس هذا ا كان .

أدولف : أووه ! ولكن يجب أن تبقى الآ ن لنتحدث معنا قليـــلا .

موريس : (بعد نظرة إلى مدام كاثرين) لوأن عندى وقتا .

ادولف : اقتطع شيئا من الوقت . ولن يطول جلوسنا هنـــا .

هنرييت : لا أريد أن أشغلكما إذا كان لديكما حديث عن العمل .

موريس : ان العمل الوحيد الذى لدينا كريه إلى حد أننا لا نريد أن نتحدث عنه .

هنرييت : اذن فلنتحدث في شيء آخر . (تأخذ القبعة من موريس وتعلقها) والآ ن تكرم بتعريفى بالكاتب الكبير .

(مدام كاثرين تومئ لموريس الذى لا يلحظها)

ادولف : وهو كذلك ياهنرييت . تولى أنت أمره ؟
(يجلسون حول احدى المناضد) .

هنرييت : (لموريس) لابد أنك صديق حميم لأدولف ياسيد موريس . انه لا يتكلم ابدا الا عنك ، وبطريقة تشعرنى بأننى قد صرت في المؤخرة .

ادولف : كيف تقولين هذا ! على أى حال فان هنرييت من ناحيتها لا تتركنى في هدوء أبدا فيما يتعلق بك ياموريس . فقد قرأت مؤلفاتك وهى لاتفتأ تسأل على الدوام من أين جئت بهذا وبذاك . ولا تنى تسأل عن عن ملامحك وعمرك وميولك . وبالاختصار فقد ظللت أتناولك في الفطور والغذاء والعشاء حتى لقد بدا وكأننا نعيش معا نحن الثلاثة .

موريس : (الى هنرييت) ياالله . لماذا لم تجيئى إلى هنا لتشهدى اعجوبة العجائب هذه ؟ واذن لأشبعت فضولك في لحظة .

هنرييت : لم يرد أدولف ذلك .
(أدولف يبدو مرتبكا)

هنرييت : لا لأنه كان غيورا . . .

موريس : ولم يكون غيورا وهو يعلم أن عواطفى مرتبطة بجهة أخرى ؟

هنرييت : لعله لم يكن واثقاً في ثبات عواطفك .

موريس : لا استطيع أن أفهم ذلك وأنا الذى اشتهرت بوفائى .

أدولــف : على أى حال لم يكن ذلك . . .

هنرييت : (تقاطعه) لعل سبب ذلك أنك لم تواجه الاختبار العسير . . .

ادولــف : أوه انت لا تعلمين . . .

هنرييت : (مقاطعة) لأن العالم لم يشهد حتى الآن رجلا وفيــا .

موريس : اذن فسيشهد واحدا .

هنرييت : أين ؟

موريس : هنــا .

(هنرييت تضحك)

ادولــف : ان هذا سوف . . .

هنرييت : (مقاطعة ومتجهة بالخطاب دائما إلى موريس) هل تعتقد أنني أثق بعزيزى ادولف لأكثر من شهر واحد في المرة الواحدة ؟

موريس : ليس من حقى أن أناقش نقص الثقة عندك ، ولكنى استطيع أن أضمن اخلاص ادولف .

هنرييت : لا حاجة بك الى هذا . . . فهى مجرد ثرثرة من لسانى يجب أن أسحب الكثير منها ، لا لمجرد الخوف من أن أشعر بأنى أقل كرما منـــاك ، بل لأن هـــذا هو الحق . ان من عاداتى السيئة ألا أرى غير الجانب السّيء للأمور وأستبقيـــه نصب عينى وكأنما فقت كل الناس علمـــا . ولكن لو أتيحت لى فرصة البقاء معكما انتما الاثنين بعض الوقت فقد تعيدنى صحبتكما الى صوابى مرة أخرى . معذرة يا ادولف .

(تضع يدها على خده)

أدولـــف : أنت دائما مخطئة في قولك مصيبة في عملك . ما هى حقيقة ماتفكرين فيه . . . هذا مالا علم لى به .

هنرييت : ومن ذا الذى يعرف مثل هذا الأمر ؟

موريس : اذا كنا نحاسب على أفكارنا فمن ذا الذى يستطيع أن يبرئ نفسه ؟

هنرييت : أتراودك أفكار السوء أنت أيضا ؟

موريس : بالتأكيد . تماما كما ارتكب أسوأ انواع القسوة في أحلامى .

هنرييت : أوه ، في احلامك ، بالطبع . . . تصور هذا.. لا ، إنى أخجل من أن أقول .

موريس : بل قولى .

هنرييت : رأيت في منامى الليلة الماضية أننى أقوم دون أى تأثـــر بنزع اللحـــم من صـــدر أدولـــف وأنا مثّالة كما تعلم ــ أما هو بلطفه المعتاد فلم يكن يبدى أى مقاومة ، بل انه كان يعاوننى في المواضع العسيرة لأنه يعرف التشريح أكثر مما أعرفـــه .

موريس : أكان ميتـــا ؟

هنرييت : لا ، كان حيـــا .

موريس : ولكن هذا فظيع ! أولم يؤلمك ؟

هنرييت : أبدا ، وهذا ما أصابنى بأبلغ الدهشـــة لأننى

شديدة الحساسية بالنسبة لآلام الغير . اليس كذلك يا أدولف ؟

أدولف : هذا صحيح . بل صحيح لدرجة غير عادية في الواقع ، وهو ليس أقل من ذلك بالنسبة للحيوانات .

موريس : وأنا من الناحية الأخرى شديد الجمود بالنسبة لآلامى وآلام الغير .

أدولف : انه في هذا لايقول الحق عن نفسه . أو ماذ تقولين أنت يامدام كاثرين ؟

مدام كاثرين : لا أعرف أحدا في مثل رقة قلب السيد موريس . فقد أوشك مرة أن يستدعى الشرطة لأننى لم أجدد الماء في حوض الأسماك الذهبية الذى هناك فوق البوفيه . انظر اليها . لكأنها تسمع ما أقول .

موريس : نعم فنحن هنا نتظاهر بأننا في صفاء الملائكة ، ومع هذا فنحن في مجموعنا قادرون على ارتكاب أى نوع من الفظائع المقنّعة كلما تعلق الأمر بالصيت أو المال أو النساء . . .اذن فأنت مثّالة يا آنسة هنرييت ؟

هنرييت : مثالة صغيرة ، قادرة على صنع تمثال نصفى . .. أما أن أصنع واحدا لك ، وهذا ما ظللت أتمناه طويلا ، فأنا جد قديرة .

موريس : هيا ! فهذا الحلم على الأقل لا يحتاج تحقيقه الى وقت طويل .

هنرييت : ولكنى لا أريد أن أثبت ملامحك في ذهنى قبل أن ننتهى من نجاح هذه الليلة . فلن تكون على ما أنت عليه في الحقيقة قبل ذلك الوقت .

موريس : ما أعظم ثقتك بالانتصار !

هنرييت : نعم ، انه لمكتوب على وجهك انك ستكسب هذه المعركة ، وأعتقد انك لا بد شاعر بهذا .

موريس : ولم تعتقدين ذلك ؟

هنرييت : لأننى استطيع أن أحسه . لقد كنت مريضة هذا الصباح ، وأنا الآن في عافية .

(يبدأ الضيق في الظهور على ادولف)

موريس : (محرجا) اسمع . بقيت لدى تذكرة واحدة . لا غير وأنا أضعها تحت تصرفك يا ادولف .

أدولف : اشكرك . ولكنى اتنازل عنها لهنرييت .

هنريت : ولكن هذا لا ينبغى .

أدولـــف : ولم لا ؟ وأنا لا أذهب إلى المسرح ابدا على أى حال لأنى لا أحتمل حرارته .

هنريت : ولكنك ستجيء لأخذنا إلى البيت على الأقل بعد انتهاء العرض .

ادولـــف : إذا أصررت على هذا . والا فان على موريس أن يعود إلى هنا حيث سنكون جميعا في انتظاره .

موريس : تستطيع مع هذا أن تتجشّم عناء مقابلتنا. والواقع أنى أطلب منك ، بل أرجوك أن تفعل ذلك ... وإذا كنت لا تريد الانتظار خارج المسرح فبوسعك أن تقابلنا في أوبرج الآدريه . . اتفقنا على هذا ، اليس كذلك ؟

ادولـــف : انتظر لحظة . ان لك طريقتك في انهاء الأمور على هواك قبل أن يتاح للغير التفكير فيها .

موريس : وفيم التفكير . . في أن عليك أن توصل صديقتك إلى البيت أم لا . ؟

ادولف : انك لا تعرف على الاطلاق ما قد ينطوى عليه مثل هذا العمل البسيط ، ولكن عندى نوعا من التوجّس .

هنريت : صه ، صه ، صه ! لا تتكلم عن الأشباح في وضح النهار . فليحضر أولا كما يحلو له . في وسعنا أن نجد طريقنا للعودة الى هنا على أى حال .

أدولف : (يقوم) طيب . عليّ الآن ان اتركِكما . . . ومعك نموذج التمثال كما تعلمين . وداعا لكليكما . وحظاً سعيداً لك يا موريس . غدا ستظهر في موضعك المناسب . وداعاياهنريت.

هنريت : أأنت مضطر إلى الذهاب حقا ؟

أدولف : لابد لى .

موريس : وداعا اذن . سنلتقى فيما بعد .

(يخرج ادولف محيّيا مدام كاثرين وهو يمر بها)

هنريت : تصور أننا قد التقينا آخر الأمر !

موريس : اتجدين غرابة في ذلك ؟

هنريت : يبدو أنه كان لا بد أن يحدث لأن ادولف بذل كل ما في وسعه ليمنعه .

موريس : أحقا ؟

هنرييت : أوه ، لا بد أن تكون قد لاحظتــه .

موريس : لقد لاحظته . ولكن ما الذى يحملك على ذكره ؟

هنرييت : كنت مضطرة .

موريس : لا . ولست بحاجة لأن أقول لك إننى أردت أن أهرب عن طريق المطبخ لأجتنب لقاءك فمنعنى زائر أقفل الباب في وجهى .

هنرييت : لماذا تذكر لى ذلك الآن ؟

موريس : لا أدرى .

(مدام كاثرين تقلب عددا من الأكواب والزجاجات)

موريس : الدنيا بخير يامدام كاثرين . ليس هناك ما تختشين .

هنرييت : أكان المقصود بذلك اشارة أم تحذيرا ؟

موريس : لعله كلاهما .

هنرييت : هل يعتبروننى قاطرة لا بد لها من حامل الراية أمامها ؟

موريس : ومن سائق . فالخطر أعظم ما يكون دائما عند الآلة .

هنريت : ما أقدرك على أن تكون قليل الذوق !

مدام كاثرين : ان السيد موريس ليس قليل الذوق أبدا . فحتى الآن لم نر أرقى منه انسانا مع من يحبونه ويثقون به .

موريس : اش . . . ش . . . ش !

هنريت : (لموريس) ان السيدة العجوز شديدة الوقاحة.

موريس : في وسعنا ان نسير الى الشارع الكبير اذا رغبت في ذلك .

هنريت : بكل سرور . هـــذا المكان لا يناسبنى . فانى لأشعر بكراهيتهم تنوشنى (تخرج)

موريس : (يهم بأن يتبعها) الى اللقاء يا مدام كاثرين .

مدام كاثرين : لحظة ! هـــل تسمح لى بكلمة معك ياســيد موريس ؟

موريس : (يقف غير راغب) ما هى ؟

مدام كاثرين : لا تفعلهـــا ! لا تفعلهـــا !

موريس : ما هـــى ؟

مدام كاثرين : لا تفعلهـــا !

موريس : لا تخافي . هذه السيدة ليست من طرازى ، ولكنها تستوقف نظرى . بل حتى ولا هذا .

مدام كاثرين : لا تثق في نفسك !

موريس : لا بل انى واثق في نفسى . وداعا . (يخرج)

***

الفصل الثاني

المنظر الاول

أوبرج الآدريه . مقهى على طراز القرن السادس عشر يوحـــــى بجو مسرحى . المناضد والكراسى المريحة منتشرة في الأركان والجوانب. الجدران مزينة بالأسلحة والدروع . على الأرفف اكواب وأباريق .

موريس وهنرييت في لباس السهرة يجلسان متقابلين الى مائدة عليها زجاجة شمبانيا وثلاثة اكواب مملوءة . الكوب الثالث موضوع عـــلى جانب المائدة الأقرب الى الخلفية وهناك كرسى مريح متروك للشخص الثالث الذى ما يزال غائبا .

موريس : (يضع ساعة أمامه على المائدة) اذا لم يكن هنا خلال الدقائق الخمس القادمة فلن يحضر ابدا ، وافرضى في نفس الوقت اننا نشرب مـــع شبحه . (يلمس الكوب الثالث بطرف كوبه)

هنرييت : (تفعل مثله) في صحتك يا ادولف .

موريس : لن يحضر .

هنرييت : سوف يحضر .

موريس : لا .

هنرييت : بل نعـــم .

موريس : يا لهـــا من أمسية ! ياله من يوم جميل ! انى لا اكاد أصدق أن حياة جديدة قد بـــدأت . تصوري : ان مدير الفرقة يعتقد انني لاأتوقع أقل من مائه الف فرنك . سأصرف عشرين الفا في شراء فيلا خارج العاصمة . ويبقى لى بعد هذا ثمانون الفا . لن استطيع قبض المبلغ جميعه حتى الغـــد لأنى متعب ، متعب ، متعب . (يغوص في الكرسى) هل شعرت مـــرة بالسعادة الحقـــة ؟

هنرييت : ابدا . كيف تكون ؟

موريس : لا أعرف تماما كيف أعبر عنها . لا أستطيع ايضاحها ولكن يبدو أننى افكر على الأخص في حزن أعدائى . وهذا ليس أمرا محمـــودا ولكنه هو الواقـــع .

هنرييت : أمن السعادة ان يفكر المرء في اعدائه؟

موريس : ان المنتصر عليه أن يحصى القتلى والجرحى من اعدائه لكى يدرك مدى انتصاره .

هنرييت : أأنت متعطش الى الدماء الى هذا الحـــد ؟

موريس : يجوز لا ، ولكن عندما تكونين قد عانيت وقع اقدام الناس على صدرك بضع سنين ، لا بد أن تسعدى اذ تزيحين العدو وتتنفسين الصعداء في النهايــة .

هنرييت : ألا تجد غرابة في أنك تجلس هنا منفردا معى ، وأنا الفتاة المجهولة التى لا تكاد تعرفهـــا بالفعل ، وفي أمسية كهذه كان ينبغى أن تتطلع فيها الى الظهور لكل الناس بمظهر البطـــل المنتصر ، في الشوارع والمطاعم الكبرى ؟

موريس : بالطبع ، انه غريب جدا ، ولكنى أحـــس بالارتياح هنا ، وصحبتك هى كل ما يعنينى .

هنرييت : انك لا تبدو شديد الابتهاج .

موريس : لا ، بل أشعر بحزن شديد ، وأود أن لو أبكى قليلا .

هنرييت : وما معنى ذلك ؟

موريس : انه الحظ في احساسه بتفاهته ، وتوقعه لسوء الحظ في اعقابه .

هنريت : يا الهى . انه لأمر محزن . ما الذى ينقصك على أى حال ؟

موريس : ينقصنيء الشى الوحيد الذى يجعل للحياة قيمة .

هنريت : اذن فأنت لم تعد تحبها ؟

موريس : ليس بالطريقة التى أفهم بها الحب . اتظنين أنها قرأت مسرحيتى أو أنها تريد أن تشاهدها ؟ أجل انها شديدة الطيبة ، شديدة الايثار على نفسها ، راجعة العقل ، ولكنها قد ترى من قبيل الخطيئة ان تخرج معى للمسرح ليلـــة . في احدى المرات طلبت لهـــا شمبانيا وبدلا من أن تشعر بالسعادة لذلك تناولت قائمة أسعار الأنبذة لتعرف ثمنها ، ولماعرفته بكت . . . بكت لأن ماريون كانت في حاجة الى جوارب جديدة . ان هذا لجميل طبعا بل موئثر اذا شئت . ولكنى لا أجد فيه ما يسر ، بينما أنا في حاجة حقة الى بعض السرور قبل أن ينصـــرم العمـــر . حـــتى الآن لم اذق

غير الحرمان ، أمـــا الآن ، فقد بدأت الحياة بالنسبة الى . (الساعة تدق اثنتى عشرة) الآن يبدأ يوم جديد ،

هنرييت : ان ادولف لن يجيء .

موريس : لا ، لن يحضر الآن . والآن أصبح الوقت جد متأخر للعودة الى محل بيع الألبان .

هنرييت : ولكنهم في انتظارك .

موريس : فلينتظروا . انهم لم يعدونى بالمجيء ، وأنـــا أسحب وعدى . أأنت مشوقة للذهاب الى هناك ؟

هنرييت : بل العكس !

موريس : اتبقين في صحبتى اذن ؟

هنرييت : يسرنى ذلك ، اذا أردت استبقائى .

موريس : لولا ذلك لما سألتك . من الغريب أن أكليل النصـــر يبدو عديم القيمة مالم يمكن وضعه عند قدمى امرأة ما . . . أن كل شيء يبدو عديم القيمة مالم تكن هناك امرأة .

هنرييت : وكيف يتأنى ان تكون أنت بالذات بلاامرأة؟

موريس : نعم ، هذا هو السؤال .

هنرييت : ألا تعلم أن للرجل في ساعة انتصاره وشهرته سحرا لايقاوم ؟

موريس : لا ، لا أعلم ، لأنى لم أجرب ذلك .

هنرييت : انت مخلوق عجيب ! في هذه اللحظة وأنت أعظم محسود في باريس تجلس هنا غارقا في الهم . لعل ضميرك يقلقك لأنك أهملت الدعوة لتناول شراب الشيكوريا مع السيدة العجوز في محل الألبان . ؟

موريس : نعم ان ضميرى يؤنبنى بهذا الخصوص ، وحتى وأنا هنا أحس بغضبهم ومشاعرهم الجريحة وسخطهم الذى له ما يبرره . فرفاقي في ساعة العسرة من حقهم أن يطلبوا حضورى الليلة . ومدام كاثرين الطيبة لها فضل مشهود

في نجاحي الذى كان يجب أن تشع منه بارقة
أمل تغمر زملائي المساكين الذين لم يقيض
لهم النجاح بعد . لقد تنكرت لثقتهم فيّ .
اني لأكاد أسمع توكيداتهم : « ان موريس
لا بد آت ، لأنه انسان طيب . انه لايحتقرنا ،
وهو لاينكل عن وعده أبدا . » لقد جعلتهم
الآن يلعنون أنفسهم .

(اثناء كلامه يبدأ بعضهم في الغرفة المجاورة في عزف المقطوعة الختامية من سوناتة بيتهوفن من مقام دو الصغير « أوبرا رقم ٣١ الفصل الثاني » يبدأ العزف أولا بالبيانو ثم يشتد ثم ينتهي بانفعال وشدة وانطلاق كامل .)

موريس : من ذا الذي يعزف في مثل هذا الوقت من الليل ؟

هنرييت : لعلهم بعض طيور الليل من أمثالنا . ولكن اسمع ! ان عرضك للقضية غير صحيح . ألا تذكر ان ادولف قد وعد بأن يقابلنا هنا؟ لقد

انتظرناه وأخلف هو وعده . واذن فلا لوم عليك . . .

موريس : اتعتقدين هذا ؟ أنا أصدقك وأنت تتحدثين ، ولكن عندما تسكتين يعود ضميرى للتحرك . ماذا معك في هذه اللفافة ؟

هنرييت : انه مجرد اكليل من الغار كنت أنوى أن أرسله ليوضع على المسرح ولكنى لم أجد فرصة لذلك . فلأقدمه لك الآن . . . يقال ان له أثرا ملطفا على الجبين الساخن . (تضع الأكيل على رأسه ثم تقبله على جبينه) تحية للمنتصر !

موريس : لا تفعلى هذا .

هنرييت : (تركع) تحية للملك !

موريس : (يقوم) لا ، انك تخيفينى الآن .

هنرييت : يالك من رجل رعديد ضعيف الثقة تخاف حتى من اقبال الحظ ! من ذا الذى سلبك ثقتك بنفسك وصيرك قزما ؟

موريس : قزم ؟ نعم ، انت على حق . فأنا لا أعمل فوق السحاب كما يعمل المردة في صخب وضجيج

بل أغمد أسلحتى منكسة في قلب الجبل الساكن أنت تظنين أن تواضعى يضطرب أمام أكليل النصر . بالعكس ، انى احتقره لأنه لا يكفينى . أنت تظنين أننى أخاف العفريت ذا العين الحاسدة الخضراء ، الذى يجلس هناك يترقب عواطفى التى لا تدركين مدى قوتها . ابتعد أيها العفريت ! (يزيح الكوب الثالث الذى لم يمسه أحد عن المائدة) بعدا لك أيها الشخص الثالث الذى لا محل له ، أيها الغائب الذى فقدت حقوقك ، ان كانت لك أى حقوق . لقد ابتعدت عن ساحة المعركة لأنك عرفت سلفا أنك مغلوب . انى اسحق هذا الكأس تحت قدمى ، وكذلك سأسحق صورة ذاتك التى كرّستها في معبد لم يعد لك.

هنرييت : عظيم ! هذه هى الطريقة ! أحسنت القول يا بطلى !

موريس : والآن قد ضحيت بخير اصدقائى وبأخلص معاونىّ على مذبحك يا عشتروت !(١) فهل

---

(١) عشتروت ، اله الحب والخصب عند الفينيقيين .

أنت راضية ؟

هنرييت : عشتروت ، اسم جميل ، سأحتفظ به . . . أعتقد انك تحبنى يا موريس .

موريس : بالطبع أحبك . . . ايتها المرأة التى تحملين سوء الطالع ، التى تثيرين شجاعة الرجال بما فيك من رائحة الدم ، من أين جئت ، والى أين تقودينى ؟ لقد أحببتك قبل أن أراك لأنى كنت أرتعد كلما ذكروك . وعند ما رأيتك في المدخل سكبت روحك نفسها في روحى . فلما ذهبت ظللت شاعرا بوجودك بين ذراعىّ . أردت أن أفرّ منك ولكن شيئا ما أمسكنى ، وها نحن أولاء الليلة قد انسقنا معا كما تساق الفريسة الى شباك الصائد . وعلى من يقع الخطأ ؟ على صديقك الذى مهد لنا السبيل !.

هنرييت : خطأ أولا خطأ : ما أهميته ، وما معناه ؟ . . لقد كان ادولف على خطأ في أنه لم يجمعنا معا من قبل . انه أجرم في أن سلبنا اسبوعين من المتعة لم يكن هو نفسه صاحب حق فيهما . انى أشعر بالغيرة منه بسببك . اكرهه لأنه

سرق منك فتاتك . بودى أن لو محوته من قائمة الأحياء ومعه ذكراه ، أن أمحوه حتى من الماضى وأجعله كأن لم يكن ولم يولد !

موريس : نعم ، سندفنه تحت أطباق ذكرياتنا ذاتها سنهيل عليه الأوراق والأحطاب بعيدا في الأحراش المهجورة ، ثم نثقل الكومة بالحجارة حتى لا تقوم له قائمة قط مرة أخرى .

(يرفع كوبه) لقد حم قضاؤنا ! الويل لنا وماذا بعد ؟

هنريت : من بعد يجىء العهد الجديد . . ماذا معك في هذه اللفافة ؟

موريس : لا أستطيع أن اذكر .

هنريت : (تفتح اللفافة فتخرج رباط عنق وقفازا) هذا الرباط مرعب ! لا بد انه يساوى خمسين سنتيما على الأقل .

موريس : (يخطف الأشياء منها) لا تمسيها !

هنريت : أهى منها ؟

موريس : نعم ، انها منهـــا .

هنرييت : اعطنى اياهـــا .

موريس : لا ، انها لخير منا ، خير من كل من عداها .

هنرييت : لا أصدق ذلك . بل انها لأغبي وأكثر شحا . هى التى تبكى لأنك طلبت الشمبانيا . . .

موريس : عندما كانت طفلة بلا جوارب . نعم انها امرأة طيبة .

هنرييت : انك لن تكون فنانا أبدا ! ولكننى فنانة ، وسأصنع لك تمثالا نصفيا وأضع رأسك فيه قلنسوة بدال بدلا من أكليل الغار . . هل اسمها جين ؟

موريس : ومن أين عرفت ؟

هنرييت : أوه ، هذا هو اسم كل ربات البيوت .

موريس : هنرييت !

(هنرييت تتناول الرباط والقفاز وتلقى بهما في الموقد)

موريس : (في ضعف) عشتروت ، والآن تطلبين التضحية بالنساء . سيكون لك ، ولكن لو طلبت الأطفال الأبرياء سأقذف بك .

هنريت : أتستطيع أن تقول لى ما الذى يربطك بى ؟

موريس : لو أننى عرفت لا ستطعت أن أنسلخ . ولكن لا بد أنها تملك الصفات التى تتوافر لك وتنقصنى . أعتقد ان ما فيك من شر يجذبنى بوميض جديد لا يقاوم .

هنريت : هل ارتكبتَ جريمة يوما ما ؟

موريس : لم ارتكب جريمة حقيقية . هل ارتكبت أنت ؟

هنريت : نعم .

موريس : وكيف وجدتها ؟

هنريت : كانت أعظم من أداء عمل صالح ، لأننا بهذا نوضع على قدم المساواة مع الآخرين . وكانت أعظم من اداء عمل بطولى ، لأننة نرفع فوق الآخرين ونثاب . أما تلك الجريمة فقد وضعتنى خارج نطاق الحياة والمجتمع والناس . ومن وقتها وأنا أعيش مجرد حيا

جزئية ، نوعا من الحياة الحالمة ، وهذا هو السبب في أن الحقيقة لا تأخذ أبدا بخناقي .

موريس : وما ذلك الذى فعلته ؟

هنريت : لن أقول ، والا اعتراك الخوف من جديد .

موريس : ايمكن أن تضبطى يوما ما ؟

هنريت : أبدا ، ولكن هذا لايمنعنى من أن أرى أحيانا الأحجار الخمسة التى كانت تقام عندها المشنقة في ميدان روكيت . ولهذا السبب لاأجرؤ على فتح رزمة من أوراق اللعب لأننى اجد الخمسة « الاسباتى » على الدوام .

موريس : أكانت من ذلك النوع من الجرائم ؟

هنريت : نعم . كانت من ذلك النوع .

موريس : هذا مريع بالطبع ولكنه مثير للفضول .ألا تشعرين بوخز الضمير ؟

هنريت : أبدا . ولكنى اكون شاكرة اذا غيرت — موضوع الحديث .

موريس : هل نتكلم عن . . . الحب ؟

هنريت : هذا لا يتكلم الناس فيه الا بعد أن ينتهى .

موريس : هل كنت تحبين أدولف ؟

هنرييت : لا أدرى . ان رقة طبعه جذبتني كذكرى حلوة ، ولكن حائلة ، من ذكريات الطفولة . ومع هذا فقد كان في شخصه الكثير مما يؤذى عينيّ حتى لقد كان على أن أقضى وقتا طويلا في التقليب والتعديل والاضافة والحذف قبل أن أصنع منه تمثالا مقبولا . عندما كان يتكلم استطعت أن ألاحظ أنه تعلم منك ، ولكن الدرس كان سيء الهضم سقيم التطبيق . وبوسعك أن تتصور كم تبدو الصورة تافهة الآن وقد أتيح لى أن أتطلع الى الأصل . وهذا ما من أجله كان يخاف ان يجمعنا معا ، وعندما حدث ذلك ادرك في الحال أن زمانه قد انقضى .

موريس : مسكين ادولف !

هنرييت : أنا أيضا أشعر بالأسف له ، لأنى أعلم أنه لابد يعانى فوق كل تصور . . .

موريس : اش . . . ش . يوجد قادم .

هنرييت : ايكــون هــو ؟

موريس : سيكون ذلك شيئا غير محتمل .

هنرييت : لا انه ليس هو . ولكن لو كان هو فكيــف كان يمكن أن يكون الموقف في اعتقــادك

موريس : في مبدأ الأمر كان سيبدى لك بعض الألم لأنه أخطأ مكان اللقاء . . وحاول البحث عنا في عدة مقاه أخرى . . ولكن ألمه سينقلب إلى سرور لأنه عثر علينا . . . وتحقق من أننا لم نخدعه وفي فرحته بأنه أساء الينا بشبهاته قد يحبنا كلينا . وبذا قد يسعده ، أن يلحظ أننا أصبحنا صديقين حميمين . فقد كان هذا حلمه دائما . . . هم . . . م . . . م ! انى أتكلم بلسانه الآ ن — حلمه بأن ثلاثتنا سنشكل ثالوثا يقدم للعالم مثالا رائعا للصداقة المنزهة عن الغرض . . . نعم ، انى واثق فيك ياموريس أولا لأنك صديقى ، وثانيا لأن عواطفك مرتبطة بمكان آخر .

هنرييت : برافو ! . لابد انك وقفت مثل هذا الموقف من قبل والا لما استطعت اعطاء مثل هذه

الصورة الحية له . ان ادولف هو تماما ذلك النوع من الشخص الثالث الذى لايمكن أن يستمتع بصحبة فتاته ما لم يكن صديقه معه

موريس : وهذا هو السبب في انى استدعيت لاستقبالك . . . صه ! . هناك احد في الخارج . لابـــد

هنريت : لا . ألا تعلم أن هذه هى الساعات التى تسير فيها الأشباح فترى أشياء كثيرة ، بـــل وتسمعها . لأن تظل متيقظا في الليـــل حيث كان يجب أن تنام له عندى نفس السحر الذى للجريمة : ان تضع نفسك خارج نطاق قوانين الطبيعـــة .

موريس : ولكن العقاب رهيب . . . انى أرتعد أو انتفض بردا أو خوفا .

هنريت : (تلف عباءتها من حوله) ضع هذه حول كتفيك . ستدفئك .

موريس : هذا جميل ! . لكأن جلدك قد احتوانى ، أو أن جسدى قد ذاب من قلة النوم فأعيد صوغه على مثالك . أكاد أحس بعملية الصوغ جارية بيد أنه تتخلق فيّ كذلك روح جديدة وأفكار

جديدة . وهنا حيث انطبع نهداك أحس بصدري آخذا في النهـــود .

(خلال كل هذا الفصل يظل عازف البيانو في الحجرة المجاورة يتدرب على الصوناتا من مقام دو الصغير احيانا في هدوء وأحيانا في شدة بالغة

ثم يسكت من آن لآخر لفترة قصيرة)

موريس : ياله من مارد ، يجلس هناك طول الليل يتدرب على البيانو . انه يجعلني أشعر بالسقم . أتعلمين ماذا أقترح ؟ هيا نستقل سيارة الى غابة بولونيا ونتناول الفطور في البافليون ونشهد مشـــرق الشمس فوق البحيرات .

هنرييت : رائـــع ! . .

موريس : ولكن قبل كل شيء عليّ أن أرتب لأرسال بريدي وصحف الصباح مع رسول خاص الى البافليون . قولي لي ياهنرييت : هل ندعو أدولف ؟

هنرييت : أوه ، هذا غاية في الإغراب ! . ولكن لم

لا ؟ ان الحمــار أيضــا يمكن أن يربــط الى عربة النصر . فليجئ . (ينهضان)

موريس : (يخلع العباءة) اذن فسأدق الجرس .

هنرييت : انتظر لحظة ! (ترمى بنفسها بين ذراعيه)

المنظر الثاني

حجرة كبيرة فخمة الاثاث في مطعم في غابة بولوينا . باذخــة الأبسطة مملوءة بالمرايا والكراسى الوثيرة والأرائك . في المؤخرة ابواب زجاجية بجانبها نوافذ تطل على البحيرات . في المقدمة مائدة ممدودة في وسطها زهور وأوعية زاخرة بــالفاكهة ، ونبيذ في القواريــر ، وقواقع على صحاف ، وانواع مختلفة من اكواب الشراب ،وشمعدانان مضاءان . الى اليمين مائدةمستديرة مملوءة بالصحف والبرقيات .

موريس وهنرييت جالسان متقابلين الى هــذه المائدة الصغيرة . الشمس بدأت تشرق في الخارج .

موريس : لم يعد هناك أى شك في الأمر . ان الصحــف تنبئني بذلك ، وهذه البرقيات تهنئني بنجاحى . هذه بداية حياة جديدة ، وقد ارتبط مصيرى بمصيرك هذه الليلة حيث كنت الانسان الوحيد

الذى شاطرنى آمالى وانتصارى . من يـدك تلقيت اكليل الغار ، ويبدو لى وكأن كل شيء جاء منك .

هنرييت : يالها من ليلة رائعة ! أكنا في حلم ، أم ان هذه حقيقة عشناها ؟

موريس : (يقف) وياله من صباح بعد هذه الليلة ! يخيل لى أنه أول أيام الدنيا ذلك الذى تضيئه الآن هذه الشمس الطالعة . في هذه اللحظة فقط خلقت الأرض وعرّيت من تلك الرقائق البيض السابحة في الفضاء. هناك تقوم جنة عدن في ضوء الفجر الوردى ، وهنا أول زوج من البشر . اتعلمين أننى سعيد الى حد أننى أكاد أبكى اذ يخطر على بالى أن البشر كلهم ليسوا في مثل هذه السعادة ، أتسمعين هذه النأمات البعيدة وكأنها أمواج المحيط تضرب في شاطئ صخرى ، أو كأنها الريح تخفق في غابة ؟ أتعلمين ماذاك ؟ انها باريس تهمس باسمى. اترين أعمدة الدخان مصعدة في السماء بالألوف وعشرات الألوف ؟ انها النيران

المشتعلة على مذابحى ، وان لم تكن كذلكفلابد أن تصير كذلك لأنى أريده . في هذه اللحظة تنبض كل آلات البرق في أوربا باسمي . وقطار الشرق يحمل الصحف الى الشرق الأقصى صوب الشمس المشرقة . وعابرات المحيط تحملها صوب أقصى الغرب . الأرض ، لى وهى لهذا السبب جميلة . بودى الآن أن لو كان لنا أجنحة فنحلق من هنا ونطير مبعدين قبل ان يستطيع أى انسان تعكير سعادتى ، قبل أن يجد الحسد فرصة لا يقاظى من حلمى . . . فلعاه مجرد حلم !

هنريت : (تمد يدها اليه) هنا تستطيع ان تحس بأنك لست في حلم .

موريس : انه ليس حلما ، ولكنه كان . حين كنت أسير وأنا شاب فقير في الغابات التى تحتنا هناك واتطلع الى هذا البافليون كان يبدولى كقلعة مسحورة ، وكانت أفكارى تحملنى دائما الى هذه الغرفة بشرفتها في الخارج وستائرها السميكة وكأنها مكان النعيم المقيم .

أن أجلس هنا وأرى مشرق الشمس على حين ما تزال الشموع تحترق في الشمعدان : كان ذلك أجرأ أحلام شبابى . والآن وقد تحقق لم يعد لدى مزيد مما أطلبه من الحياة . . . أتريدين أن تموتى الآن معى ؟

هنريت : لا يأيها المجنون . الآن أريد أن أبدأ الحياة .

موريس : (يقوم) الحياة معناها المعاناة ! الآن تسفر الحقيقة . أستطيع أن أسمع خطاه على الدرج . انه يلهث في فزع ، وقلبه يدق في رعب من فقدان أغلى ما عنده . أتستطيعين أن تصدقينى اذا قلت لك أن أدولف تحت هذا السقف ؟ وبعد دقيقة واحدة سيكون واقفا في وسط هذه الحجرة .

هنريت : (فزعة) لقد كان من الغباء أن نطلب منه المجيء الى هنا ، وانى لنادمة على ذلك . . . طيب . سوف نرى على كل حال ما اذا كان تنبؤك بالموقف سيجئ صحيحا .

موريس : أوه . من السهل أن يخطئ الأنسان في تقدير مشاعر غيره .

(يدخل رئيس لى الخدم ومعه بطـــاقة)

موريس : اطلب من السيد أن يتفضل بالدخول . (الى هنرييت) أخشى أن نندم على هذا .

هنرييت : فات وقت الندم الآن . . . صه !.

(يدخل أدلف شاحبا غائر العينين)

موريس : (محاولا أن يتكلم بلا اكتراث) ها أنت ! ماذا جرى لك في الليلة الماضية ؟

ادولــــف : بحثت عنكما في فندق الآدريه وانتظرت ساعة كاملـــة .

موريس : اذن فقد ذهبت الى المكان غير الصحيح . لقد انتظرناك عدة ساعات في اوبرج الآدريـــــه ومازلنا في انتظارك كما ترى .

ادولــــف : (مستريحا) الحمـــد لله!

هنرييت : صباح الخير يا ادولف . انك تتوقـــع الأسوأ دائماوتقلق نفسك بلامبرر . أعتقــد أنــك تصورت اننا أردنا أن نجتنب صحبتك . ومع أننا ارسلنا اليك كما ترى فانك مازلت تظـــن نفسك غير مرغوب فيك .

ادولــــف : معذرة : كنت مخطئا . ولكن الليلة كانت رهيبة . (يجلسون . يعقب ذلك صمت محرج)

هنرييت : (لأدولف) طيب . ألاتهنئ موريس على نجاحه العظيم ؟

ادولــــف : أوه ، نعم . ان نجاحك هو الحقيقة الواقعة ، ولا يستطيع الحسد نفسه أن ينكره . كل شيء يخلى السبيل أمامك ، وحتى أنا أحس بضآلتي في حضرتك .

موريس : كلام فارغ ! . . . هنرييت ، ألا تقدمين قدح نبيذ لأدولف ؟

أدولــــف : اشكرك ، لا اريد شيئا على الاطلاق .

هنرييت : (لأدولف) ماذا جرى لك ؟ أأنت مريض ؟

ادولــــف : لم أمرض بعد ، ولكن . . .

هنرييت : ان عينيــــك . . .

أدولــــف : ماذا بهمــــا ؟

موريس : ماذا حدث في محل بيع الالبان في الليلةالماضية؟ اظنهم غاضبين مني ؟

ادولــف : مامن غاضب منك . ولكن غيابك سبب ضيقا آلمنى أن ألحظه . ولكن مامن أحد غضب منك ، صدقنى . لقد فهم أصدقاؤك وقابلوا عدم حضورك بالتسامح والعطف . ومدام كاثرين نفسها دافعت عنك واقترحت نخبك . ونحن جميعا احتفلنا بنجاحك كما لو كان نجاحا لنا .

هنرييت : انهم لأناس طيبون ! ما أعظم أصدقاءك ياموريس .

موريس : نعم انهم خير مما أستحق .

ادولــف : ما لأحد من أصدقاء خير مما يستحق ، وأنت رجل مبارك له في أصدقائه . الا تستطيع أن تشعر كيف يرق الهواء اليوم بكل الأفكار الطيبة والتمنيات التى تنساب نحوك من ألف صدر ؟

(موريس يقف لكى يخفى انفعاله)

ادولــف : من ألف صدر خلصتها من الكابوس الذى ظل جاثما مدى الحياة . لقد كانت الانسانية

مفترى عليها فزكيتها : ومن أجل هذا يشعر الناس بالامتنان لك . فاليوم يعودون ليرفعوا رؤوسهم عاليا ويقولوا : اننا أفضل مما وُصِفنا به بعد كل ماكان . وهذه الفكرة ذاتها تجعلهم أفضل .

(هنرييت تحاول أن تخفض انفعالها)

ادولــف : هل أحنا يفكما ؟ دعني استدفئ قليلا في ضوء شمسك يا موريس ثم أذهب .

موريس : ولم تذهب وأنت لم تجئ إلا منذ لحظة ؟

ادولــف : لم ؟ لأنى رأيت مالم أكن في حاجة لرؤيته لأنى أعرف الآن أن ساعتى قد انقضت . (سكوت) أما أنكما ارسلتما الى فأنا أحمله على أنه تعبير عن حسن التدبير ، واشارة الى ما وقع ، وصراحة أقل ايلاما من الخديعة . أنت تسمع أنني أحسن الظن بالناس ، وهذا ما تعلمته منك ياموريس (سكوت) ولكني يا صاحبي كنت منذ لحظات قليلة في كنيسة سان جرمان ،

وهناك رأيت امرأة وطفلا .أنا لست أريد أن تكون قد رأيتهما ، لأن ما حدث لايمكن تغييره ، ولكنك لو كنت منحتهما خاطرا أو كلمة قبل ان تلقى بهما في خضم المدينة الهائلة اذن لاستطعت ان تستمتع بسعادتك غير منقوصة . والآن الى اللقاء .

هنرييت : لماذا يتعين عليك ان تذهب ؟

ادولف : أو أنت تسألين عن ذلك ؟ اتديدين أن أقول لك ؟

هنرييت : لا ، لا أريد .

ادولف : الى اللقاء اذن . (يخرج)

موريس : الخروج : والويل لهما ! « لقد ادركا أنهما عاريين »

هنرييت : ما أبعد الفرق بين هذا المشهد وبين ما تصورناه ! انه خيرمنا .

موريس : يبدو لى الآن وكأن كل من عدانا كانوا خيرا منا .

هنرييت : اترى ان الشمس قد اختفت وراء السحب ،

وأن الغابات فقدت لونها الـــوردى ؟

موريس : نعم أرى . والبحيرة الزرقاء قد انقلبت الى السواد . فلنهرب الى مكان تكون فيه السماء دائمة الزرقة ، والأشجار دائمة الخضرة .

هنرييت : نعم ، هيا بنا . . . ولكن دون أى وداع .

موريس : لا ، بل بعد وداع .

هنرييت : كان في نيتنا أن نطير . لقد تكلمت عـــن الأجنحة . . . ومع ذلك فأقـــداملك مـــن الرصاص . أنا لست غيورا ، ولكنك لو ذهبت للوداع وأحاط برقبتك زوجان من الأذرع . . . إذن لما استطعت أن تنتزع نفسك .

موريس : لعلك على حق ، ان زوجا واحدا من الاذرع الصغيرة كاف لأن يقيدنى

هنرييت : انها الطفلة التى تربطك اذن ، لا المرأة ؟

موريس : انها الطفلـــة .

هنرييت : الطفلة ! طفلة امرأة أخرى ! ومن أجلها يتعين علىّ أن أعانى . لماذا تسد علىّ تلك الطفلة الطريق الذى أريد أن أمر منه ، ويجب أن أمر منه ؟

موريس : نعم ، لماذا ؟ كان من الخير أن لم تكن جاءت ابدا .

هنرييت : (تسير مهتاجة ذهابا وجيئة) حقا ! . ولكنها موجودة الآن بالفعل كصخرة تعترض الطريق ، صخرة ثبتت تثبيتا في الأرض لايمكن زحزحتها ، بحيث تقلب العربة .

موريس : عربة النصر ! لقد أجهد الحمار حتى الموت ولكن الصخرة باقية . عليها اللعنة ! (سكوت)

هنرييت : مامن شيء يمكن عمله .

موريس : يجب ان نتزوج واذ ذاك سيكون لنا طفل ينسينا ذلك الآخر .

هنرييت : سيقتل هذا ذاك !

موريس : يقتل ! ما هذه الكلمة ؟

هنرييت : (تغير لهجتها) ان طفلك سيقتل حبك .

موريس : لا يافتاتى ، ان حبنا سيقتل كل ما يقف في طريقه ، ولكنه لن يقتل .

هنرييت : (تفتح مجموعة من أوراق اللعب موضوعة على المفرش) الخمسة « الاسباتى » . . .

المشنقة ! أيمكن أن تكون مصائرنا قد تحددت مقدما ؟ وأن أفكارنا توجه وكأنها في أنابيب نحو البقعة المحددة لها دون أن تكون لدينا القدرة على وقفها ! أتعرف عن يقين أنني لابد أن أساق الى المشنقة لو اكتشفت جريمتي ؟

موريس : حدثيني عن جريمتك . الآن جاءت مناسبة ذلك .

هنرييت : لا ، سأندم على ذلك فيما بعد ، وقد تحتقرني أنت . . . لا ، لا ، لا ! . أسمعت ان انسانا يمكن أن يقتل بالكراهية ؟ لقد استجلب أخي كره أمي وأخواتي حتى ذاب كما يذوب الشمع أمام النار . أخ ! فلنتكلم في شيء آخر . وفوق كل شيء فلنرحل من هنا . ان الهواء مسمم هنا . غدا ستذوى أكاليل غارك وينسى انتصارك ، وبعد اسبوع سيتحوذ بطل منتصر جديد على انتباه الجماهير فلنرحل عن هنا لنعمل لانتصارات جديدة ! ولكن يجب قبل كل شيء يا موريس أن

تعانق طفلتك وتوطد لمستقبلها العاجل . وليس عليك أن ترى الأم ابدا .

موريس : شكرا لك . ان قلبك الطيب يشرف قدرك ، وان حبي لك ليتضاعف حين تكشفين عن العطف الذى تخفينه عادة .

هنرييت : وبعدها اذهب الى محل بيع الألبان وودع السيدة العجوز وأصدقاءك . ولاتترك وراءك أى أمر معلق قد يثقل بالك في رحلتنا .

موريس : سأصفى كل شيء . وسنتقابل الليلة في محطة السكة الحديد .

هنرييت : اتفقنا ! ومن ثم بعيدا عن هنا . . . بعيـــدا نحو البحر والشمس .

ستار



الفصل الثالث

المنظر الاول

في محل بيع الالبان مصابيح الغاز مضاءة . مدام كاثرين جالسة الى الطاولة ، وادولف الى مائدة .

مدام كاثرين : هكذا الحياة ياسيد ادولف . ولكنكم أيها الشباب دائما ما تسرفون في الطلب ، ومن ثم تجيئون الى هنا وتنعون عليها .

ادولف : لا ، ليس الأمر كذلك . أنا لست ألوم أحدا ، ومازلت مغرما كما كنت بكليهما . ولكن شيئا واحدا هو الذى يدخل السقم على قلبي . فقد كان موريس يشغل فكرى أكثر من كل من عداه ، الى حد أنني ماكنت لأنكر عليه أى شيء يمكن ان يبعث السرور الى نفسه . . . أما الآن فقد فقدته ، وهذا يؤلمني بأشد من فقدها. لقد فقدتهما جميعا ، وهكذا صارت وحدتى

مزدوجة : ثم انه مازال هناك أمر لم استطـع بعد أن أجلـوه .

مدام كاثرين : لا تفرط في التفكير على هذا النحو . اعمـل واشغل نفسـك . الآن مثلا هـل تذهب الى الكنيسة ؟

ادولـف : وماذا أعمل هنـاك ؟

مدام كاثرين : أوه هناك الكثير مما يرى ، ثم هناك الموسيقى انها ليست من النوع العادى على الأقـل .

ادولـف : ربما . ولكنى لست من هذا الطراز على مـا أظن ، لأنها لا تحرك فيّ أى شعور بالقداسـة على الاطلاق . ثم ان الايمان يامدام كاثرين نعمة على ما قيل ، وأنا لم أوت هذه النعمةبعد.

مدام كاثرين : طيب . . . انتظر حتّى تنالهـا . ولكن ما هذا الذى سمعته منذ لحظة ؟ أصحيح انك بعـت صورة في لندن بثمن مرتفع وأنك حصلتعلى وسام ؟

ادولـف : نعم ، صحيح .

مدام كاثرين : يارحمن يارحيم . . . أولا تذكر ذلكبكلمة؟

ادولـف : انى أخاف الحظ السعيد ، وفضلا عن ذلك فهو يبدو في نظرى تافها تقريبا في هذه اللحظـة. انى خائف منه خوفي من الشبح : الكلام عن رؤيته يجلب النحس .

مدام كاثرين : انت مخلوق عجيب . وهذا ما كنته دائما .

ادولـف : لست عجيبا على الاطلاق . ولكننى رأيـت كثيرا من سوء الحظ يجىء في أعقاب الحـظ ، ورأيت كيف أن المصائب تظهر الأصدقـاء الحقيقيين ، بينما لا يظهر في ساعات الانتصار غير الزائفين . لقد سألتنى عما اذا كنت قـد ذهبت يوما الى الكنيسة فأجبت اجابة غامضة غير أنى دخلت هذا الصباح كنيسة سـان جرمان دون أن أعرف لم فعلت هذا في الحقيقة يبدو كأننى كنت ابحث عن شخص ما هناك ، شخص استطيع أن أقدم له امتنانى في صمت. ولكنى لم أجد أحدا . ومن ثم اسقطت عملـة ذهبية في صندوق الاحسان ، وكان هذا كل ما استطعت أن اجنيه من ذهابى للكنيسـة ،

واستطيع أن أقول إنه كان شيئا عاديا جدا .

مدام كاثرين : بل انه شيء ما على أى حال. ثم انه كان جميلا ان تذكر الفقراء بعد سماع أخبار طيبة .

ادولف : لم يكن جميلا ولا كان شيئا آخر : انما كان مجرد شيء فعلته لأنني عجزت عن التصرف . ولكن شيئا آخر حدث وأنا في الكنيسة. رأيت جين صديقة موريس وطفلتها ، صريعتين تحت عجلات عربة نصره ، يبدو عليهما الادراك التام لمدى ما أصابهما من التعس .

مدام كاثرين : أيها الأولاد ، أنا لا ادرى على أى صورة تقيمون ضمائركم ولكن كيف يتسنى لرجل فاضل عاقل متزن كالسيد موريس أن يهجر على حين فجأة امرأة وطفلتها ، هذا شيء لا أستطيع تفسيره .

ادولف : ولا أنا استطيع تفسيره . بل ويبدو انه هو نفسه لا يفهمه . لقد قابلتهما هذا الصباح ، وكان كل شيء يبدو أمامهما طبيعيا جدا ، وسائغا جدا ، وكأنما ليس في وسعهما أن يتصورا شيئا غيره . لكأنما كانا يستمتعان بالارتياح الى خير فعلاه أو واجب مقدس

أنجـــزاه . هناك أمور يامدام كاثرين تستعصى على تفسيرنا ولذا فليس لنا ان نتصدى للحكم عليها . وفضلا عن هذا فقد رأيت كيـــف حدث كل ذلك . أحس موريس بالخطر في الجو ، وتوقعته أنا وحاولت أن أمنع لقاءهما واراد موريس ان يفـــر منه ولكن الظروف لم تساعد . بل لقد بدا وكأن هناك مؤامـــرة تدبرها قوى خفية ، وكأنما دفعت بكل منهما يد خبيثة إلى مابين ذراعى صاحبه .

بالطبع أنا غير صالح للحكم في هذه القضية ، ولكنى لن أتردد في اصدار حكم بالبراءة .

مدام كاثرين : لأن تستطيع الصفح بمثل ما تفعل ، هذا ما أسميه تديّنا .

ادولـــف : ياللسموات . لعلنى متدين دون أن أدرى .

مدام كاثرين : ولكن لأن يترك الانسان نفسه يساق إلى الشر أو يغرى به كما فعل السيد موريس ، معنـــاه الضعف أو سوء الخلق . واذا أحسست — بقوتك تهن فانك تطلب العون فتجده . ولكنه كـــان أشـــد عجبا من أن يفعل ذلك . . .

من ذلك القادم ؟ القسيس على ما أظن .

القسيس : (يدخل) مساء الخير يامدام . مساء الخير ياسيدى .

مدام كاثرين : هل من خدمـــة ؟

القسيس : أكان السيد موريس المؤلف هنا اليوم ؟

مدام كاثرين : لم يجئ اليوم . لقد بدأ عرض مسرحيته منذ قليل ولعل هذا يشغلـــه .

القسيس : عندى خبر محزن له . محزن من عدة وجوه .

مدام كاثرين : هل لى أن أسأل من أى نوع ؟

القسيس : نعم . انه ليس سرا . ان الطفلة التى كانت له من تلك الفتاة جين ، قد ماتت .

مدام كاثرين : مـــاتت !

ادولــــف : ماريون مـــاتت !

القسيس : نعم ماتت فجأة هذا الصباح دون اى سابقة مرض .

مدام كاثرين : يا الهى ،من ذا الذى يستطيع أن يتنبأ بتصاريفك

القسيس : ان حزن الأم يجعل من اللازم أن يشرف ـــ

عليها السيد موريس ، ولذا لابد أن نحاول العثور عليه . ولكن هناك سؤال بيني وبينكما اتعرفان ما اذا كان السيد موريس مغرما — بالطفلة أم غير مكترث لها ؟

مدام كاثرين : مغرم بها ؟ عجبا ، كلنا نعرف مقدار حبه لهـــا .

ادولـــف : لاشك في ذلك .

القسيس : يسرني ان أسمع هذا . وهو ينهي الأمر فيما يختص بي .

مدام كاثرين : أو كان هناك أى شك فيه ؟

القسيس : نعم لسوء الحظ . فقد أشيع في محيط الجيران أنه هجر الطفلة وأمها ليرحل مع امرأة غريبة. وخلال بضع ساعات تطورت هذه الشائعة الى اتهامات قاطعة ، وفي نفس الوقت ثارت المشاعر ضده الى حد أن أصبحت حياته مهددة وأصبح يسمى قاتلا .

مدام كاثرين : يارحمن يا رحيم ، ما هذا ؟ مامعناه ؟

القسيس : الآن أقول لك رأيي . . . انى مقتنع بأن الرجل

بریء في هذا الصدد ، والأم تشعر بالتأكيد مثل شعوری . ولكن الظواهر ضد السيد موريس ، وأعتقد انه سيجابه صعوبة كبيرة في تبرئة نفسه عندما يحضر رجال الشرطة لاستجوابه .

ادولف : هل تولت الشرطة الأمر ؟

القسيس : نعم ، كان من واجب الشرطة ان تتدخل لحمايته من كل تلك الشائعات الكريهة ومن ثورة الناس . ولعل المفتش سيكون هنا حالا .

مدام كاثرين : (لأدولف) هاك ! اترى ما يحدث عندما يعجز الرجل عن التمييز بين الخير والشر ، وحين يعابث الرذيلة؟ . ان الله سريع العقاب !

ادولف : اتريدين ان تقولى انه اقل رحمة من البشر ؟

القسيس : وماذا تعرف أنت عن ذلك ؟

ادولف : لا أعرف الكثير . ولكنى افتح عينى على ما يحدث . . .

القسيس : أو تفهمه كذلك ؟

ادولف : لعلى لم أفهمه بعد .

القسيس : فلننعم النظر في الأمر . . . أوه ، هــاهو المفتش قد حضر .

المفتش : (يدخل) ايها السادة ، مدام كاثرين ، انا مضطر لأن أزعجكم لحظة ببضعة اسئلة عن السيد موريس . فهو كما لعلكم سمعتم أصبح موضوع شائعة رهيبة ، أنا بالمناسبة ، لا أعتقد صحتها .

مدام كاثرين : ومامن أحد منا يعتقد بصحتها أيضا .

المفتش : هذا يدعم فكرتى الخاصة . ولكن رعاية لصالحه لابد من أن أعطيه فرصة للدفاع عن نفسه .

القسيس : هذا حق . وأعتقد أنه سيجد العدالة ولو انها قد تكون صعبة الادراك .

المفتش : ان الظواهر ضده على نحو بالغ ، ولكنى رأيت اناسا ابرياء يصلون الى المشنقة قبل أن تظهر براءتهم . ولأقل لكم ماذا هنالك ضده .ان الفتاة الصغيرة ماريون تركتها أمها وحدها فزارها الأب سرا ، بعد أن تثبت على ما يبدو من الوقت الذى يجدها فيه منفردة . وبعد

خمس عشرة دقيقة من زيارته عادت الأم الى البيت فوجدت الطفلة ميتة . وكل هذا يجعل مركز الرجل المتهم سيئا جدا . ولم يكشف الفحص التشريحي للجثة عن أى آثار للعنف أو التسمم ولكن الأطباء يسلمون بوجود انواع جديدة من السموم لا تترك أى آثار . وبالنسبة الىّ كل هذا مجرد مصادفة من النوع الذى كثيرا ما يمر بى . ولكن هناك شيئا يبدو أسوأ من ذلك . ففى الليلة الماضية شوهد السيد موريس في أوبرج الآدريه بصحبة سيدة غريبة . وحسب أقوال الخادم سُمعا يتحدثان عن الجرائم . وجاء ذكر ميدان روكيت والمشنقة كليهما . وهو موضوع غريب للحديث بين اثنين من المحبين ذوى تربية حسنة ومركز اجتماعى طيب ! ولكن حتّى هذا يمكن التغاضى عنه ، حيث نعلم بالتجربة أن الأشخاص الذين يسرفون في الشراب والسهر الطويل يبدون ميالين الى نبش أسوأ ماهو دفين في أعماق نفوسهم . وانما الأخطر

بكثير هو شهادة رئيس الخدم حول افطارهما مع الشمبانيا في غابة بولونيا هذا الصباح . فقد قرر أنه سمعهما يتمنيان موت طفلة . حيث قال الرجل « كان من الخير أن لم تكن جاءت أبدا » فأجابت المرأة « حقا ! ولكنها موجودة الآن بالفعل » وفي خلال حديثهما وردت تلك الألفاظ : « سيقتل هذا ذاك! » وكان الجواب : « يقتل ! ماهذه الكلمة ؟ » الخمسة الاسباتي . . . المشنقة . . . ميدان روكيت » كل ذلك كما ترون يصعب الافلات منه ، وكذلك السفر الى الخارج الذى دبر أمره لهذا المساء . هذه أمور خطيرة »

ادولف : لقد ضاع .

مدام كاثرين : هذه قصة مرعبة . ان المرء ليحار ماذا يعتقد.

القسيس : هذا ليس من تدبير البشر . فليرحمه الله ! .

ادولف : لقد وقع في الشرك ولن يخرج منه .

مدام كاثرين : لقد تورط فيه دون وداع .

ادولـــف : ابدأت تشكين فيه ايضا يا مدام كاثرين ؟

مدام كاثرين : نعم ولا . لقد وصلت الى خارج نطاق الرأى في هذا الموضوع . ألم تر ملائكة ينقلبون إلى شياطين بمجرد أن تقلب يدك ، ثم يعودون ملائكة من جديد ؟

المفتش : ان الأمر يبدو غريبا بالتأكيد . على كل حال لابد لنا من الانتظار لسماع مايمكن ان يقدمه من إيضاح . فما من أحد يحكم عليه دون — سماع اقواله . مساء الخير ايها السادة ، مساء الخير يامدام كاثرين . (يخرج)

القسيس : هذا ليس من تدبير البشر .

ادولـــف : لا ، يبدو أن الشياطين كانت تعمل لقلب كيان الانسان .

القسيس : إما انه عقاب على ذنوب خفية أو امتحان رهيب

جـــين : (تدخل في ثياب الحداد) مساء الخير . معذرة في سؤال ، هل رأيتم السيد موريس ؟

مدام كاثرين : لا ياسيدتى ، ولكنى اعتقد أنه سيكون هنا.

في أى لحظة . أنت لم تريه اذن منذ . .

جـــين : لم أره منذ هذا الصباح .

مدام كاثرين : اسمحى لى بأن أقول لك إنى اشاطرك حزنك العظـــيم .

جـــين : شكرا ياسيدتى . (للقسيس) اذن أنت هنا ايهـــا الأب .

القسيس : نعم يا طفلتى . ظننت أن قد استطيع أن أؤدى أى خدمة لك . وكان ذلك من حسن الحـــظ حيث اتاح لى فرصة التحدث الى المفتش .

جـــين : المفتش ! أهو يشتبه في موريس كذلك ؟

القسيس : لا ، لا هو ولا احـــد هنا يشتبه فيه . ولكن الظواهر ضده بشكل مفزع .

جـــين. : تعنى بناء على الحديث الذى وصل الى مسامع الخدم . . . انه لا يعنى شيئا بالنسبة لى انا التى سبق أن سمعت اشياء مماثلة من موريس عندما كان يتناول بضعة اقداح . وفضلا عن هـــذا يبدو أن المرأة التى كانت في صحبته هى التى

صدرت عنها أخطر الاقوال . بودى أن لـــو انظر في عيني تلك المرأة .

ادولـــف : يا عزيزتى جين ، بصرف النظر عن مبلغ الضرر الذى سببته لك تلك المرأة ، فانها لم تفعل شيئا بسوء قصد . بل الواقع انه لم يكن لها أى قصد على الاطلاق وانما انصاعت لوحى طبيعتها . أنا أعرف أنها انسانة طيبة تستطيع أن تواجه النظرة في عينها بكل ثبات .

جـــين : ان حكمك في هذا الأمر يا ادولف له قيمة عظمى عندى ، وانى لأصدق ما تقول . وهذا معناه أننى لا استطيع أن أسند الى أى انسان سوى نفسى مسئولية ما حدث . انه اهمالى الذى أعاقب عليه الآن .

(تبدأ في البكاء)

القسيس : لاتتهمى نفسك ظلما ! أنا أعرفك وأعرف الروح الجادة التى راعيت بها أمومتك . أما أن اضطلاعك بهذه المسئولية لم يعترف به الدين

والقانون المدنى فهذا ليس من خطئك . لا ،
فنحن هنا نواجه أمرا مختلفا جدا .

ادولــــف : وما ذاك اذن ؟

القسيس : من يدرى ؟

(هنرييت تدخل مرتدية ملابس السفر)

ادولــــف : (ينهض في عزم ويذهب الى هنرييت) أنت
هنا ؟ أين موريس ؟

أدولــــف : أتعلمين . . . أم لا ؟

هنرييت : أعلم كل شيء . معذرة يا مدام كاثرين ،
كنت متأهبة للرحيل وكان لابد لى من أن
ادخل هنا لحظة . (لأدولف) من تكون تلك
المرأة ؟ أوه ! (هنرييت وجين تحملق كل
منهما في الأخرى . أميل يظهر في باب المطبخ)

هنرييت : (الى جين) يجب أن أقول شيئا ، ولكن هذا
أمر ضئيل الأهمية ، لأن كل ما استطيع قوله
لابد ان يبدو اهانة أو تهكما ولكن اذا رجوتك
ببساطة أن تصدقي انى اشاطرك حزنك العميق

بمثل ما يفعل أى انسان أقرب اليك منى ، فيجب ألا توليني ظهرك . يجب . . . . لأننى جديرة باشفاقك ، ان لم يكن بتسامحك . (تمد يدها اليها) .

جين : (تنظر الى يدها) أنا أصدقك الآن . . . أما في اللحظة التالية فلا . (تأخذ يد هنرييت) .

هنرييت : (تقبل يد جين) اشكرك .

جين : (وهى تسحب يدها) أوه ، لاتفعلى هذا ! انا لا استحقه !

القسيس : معذرة ، ولكن مادمنا مجتمعين هنا وفي ظلال سلم موقت على الأقل ، افلا تسمحين يا آنسة هنرييت بأن تلقى بعض الضوء على كل الشك والخفاء الذى يغلّف النقطة الرئيسية في الاتّهام؟ انى أسألك كصديق من الأصدقاء أن تخبرينا بما قصدته من ذلك الحديث عن القتل والجريمة وميدان روكيت . أما أن كلماتك لا علاقة لها بموت الطفلة فلدينا من الأسباب ما يحملنا على الاعتقاد بصحته ، ولكن مما يضيف الى

اقتناعنا ان نسمع حقيقة مـــا كنت تتحدثين عنه . ألا تخبريننا ؟

هنرييت : (بعد سكوت) هذا مالا أستطيعه . لا ، لا أستطيع !

ادولــــف : هنرييت ، بل قـــولى ! أعطينا الكلمة التى ستريحنا .

هنرييت : لا استطيع ! لا تطلب منى ذلك !

القسيس : هذا ليس من تدبير البشر

هنرييت : أوه لأن تجيء هذه اللحظة ! وعلى مثل هذه الصورة ! (الى جين) سيدتى ، أقسم أننى بريئة من كل ذنب في موت طفلتك . أهذا يكفى ؟

جــين : يكفينى أنا ، ولكنه لايكفى العدالة .

هنرييت : العدالة ! آه لو علمت ما في كلماتك من صدق !

القسيس : (الى هنرييت) ولو علمت ماذا قلته الآن !

هنرييت : أو تعرف هذا خيرا مما أعرفه ؟

القسيس : نعم ، أعـــرفه .

(هنريت تنظر الى القسيس نظرة ثابتة)

القسيس : لاتخافي ، لأننى حتى لوعرفت سرك فلن يذاع وفضلا عن هذا فلا شأن لى بعدالة البشر ، ولكن معظم ما يهمنى رحمة الله .

موريس : (يدخل مستعجلا في ملابس السفر .لاينظر للآخرين الواقفين في المؤخرة بل يذهب رأسا الى الطاولة حيث تجلس مدام كاثرين)الست غاضبة منى يا مدام كاثرين لأنى لم أجئ ؟ لقد جئت الآن لأعتذر لك قبل أن أسافر الى الجنوب في الثامنة هذا المساء .

(مدام كاثرين يتملكها الفزع الى حد أنهـــا لا تستطيع ان تنطق)

موريس : اذن فأنت غاضبة منى ؟(يتطلع حوله) ما معنى كل هذا ؟ انه حلم ، أم ماذا ؟ بالطبع انـــه حقيقى كله على ما أرى ، ولكنه يبدو كمتحف للشمع . . . هناك جين تبدو كالتمثال وتلبس

السواد . . . وهنرييت تبـــدو كالجثة . . .
ما معنى هذا ؟

(الجميع يلتزمون الصمت)

موريس : ما من أحد يجيب . لا بد أنه يعنى شيئا مرعبا (سكوت) ولكـــن تكلموا من فضلكم ! ادولف ، انت صديقى ، ما هـــى المسألة ؟ (يشير الى اميل) وهناك شرطى سرى !

ادولـــف : (يتقدم) اذن فأنت لا تعلم ؟

موريس : لا شىءعلى الاطلاق. ولكن لا بد من أنأعلم.

ادولـــف : اذن . . . فان ماريون قد ماتت .

موريس : ماريون . . . ماتت ؟

ادولـــف : نعم ماتت هذا الصباح .

موريس : (الى جين) لهذا اذن تلبسين الحداد. جين ، جين ، من الذى فعل بنا هذا ؟

جـــين : الله الذى بيده الحياة والمـــوت.

موريس : ولكنى رأيتها فى عافية وسعادة هذا الصباح . كيف حدث ذلك ؟ من الذى فعله ؟ لا بد ان احدا فعله . (عيناه تبحثان عن هنرييت)

ادولف : لا تبحث عن المذنب هنا ، لأنك لن تجده. ومن سوء الحظ ان شبهات الشرطة قد اتجهت الى ناحية لا يمكن ان يكون فيها .

موريس : وأى ناحية تلك ؟

ادولف : لا بد لك ان تعرف كذلك أن أحاديثك الهاذرة في الليلة الماضية وفي هذا الصباح قد وضعتك في مأزق حرج .

موريس : اذن فقد كانوا يتسمعون علينا . فلأنظر ماذا كنا نقول . . . تذكرت ، اذن فقد ضعت.

ادولف : ولكنك لوفسرت كلماتك التى القيتها على عواهنها لصدقناك .

موريس : لا أستطيع ! ولن أفعل . سأرسل للسجن ولكنى لا أهتم لذلك . ماريون ماتت ! ماتت ! وأنا قتلتها !

(رعب عام)

ادولف : فكر في ما تقول زن كلماتك اتدرك ما قلته الآن ؟

موريس : ماذا قلت ؟

ادولف : قلت انك قتلت ماريون .

موريس : أيوجد مخلوق هنا يستطيع ان يصدق أنني قاتل ، وأن يعتبرني قادرا على انتزاع حياة طفلي ذاته ؟ اجيبيني أنت يامدام كاثرين ، فأنت تعرفينني ، هل تصدقين ، هل تستطعين ان تصدقي . . .

مدام كاثرين : ماعدت اعرف ماذا أصدق . ما يعتقده القلب يجرى به اللسان . وقد نطق لسانك بكلمات سوء .

موريس : انها لا تصدقني !

ادولف : ولكن فسر الفاظك يا رجل ! فسر ما عنيته بقولك « ان حبك سيقتل كل شيء يقف في طريقه » .

موريس : واذن فقد عرفوا هذه ايضا . . . اتريدين أن تفسريها ياهنريت؟

هنريت : لا ، لا أستطيع ذلك .

القسيس : هناك شيء غير طبيعي وراء كل هذا ، ولقد فقدت عطفنا ياصاحبي . منذ لحظة كنت

استطيع أن أقسم على براءتك ، ولكنى لـــن أفعل ذلك الآن .

موريس : (الى جين) ماتقولينه أنت يهمنى اكثر مـــن كل ما عـــداه .

جـــين : (ببرود) أجب عن سؤال واحد أولا : من ذلك الذى لعنته خلال تلك السهرة الماجنة هناك

موريس : وهل فعلت ذلك ايضا ؟ يجوز . نعم أنامذنب ، ومع هذا فأنا برىء. دعونى انصرف من هنـــا لأننى خجل من نفسى ، وقد ارتكبت مـــن الأثم اكثر مما استطيع اغتفاره لهـــا .

هنرييت : (الى ادولف) اذهب معه وتأكد من أنه لن يلحق ضررا بنفسه .

ادولـــف : أأذهب أنا . . . ؟

هنرييت : ومن غـــيرك ؟

ادولـــف : (بدون مرارة) أنت الأقرب الى الأمر . . . اش . . . ش . ان عربة تقف في الخـــارج .

مدام كاثرين : انه المفتش . على كثرة ما رأيت في الحياة لم يكن

في مقدوری ابدا أن اصدق أن النجاح والشهرة شيئان قصيرا العمر الى مثل هذا الحـــد .

موريس : (الى هنرييت) من عربة النصر الى عربـــة التوقيف !

جـــين : (ببساطة) والحمار . . . من كان ذلك ؟

ادولـــف : أوه ، لابد أنه كان أنا .

المفتش : (يدخل وبيده ورقة) أمر استدعاء إلى — مقر الشرطة . . . الليلة . . . وفي الحال . . إلى السيد موريس جيرار . . . والآنسة هنرييت موكلارك . . أكلاهما هنـــا ؟

موريس وهنريت : نعـــم .

موريس : اهذا أمر بالقبض ؟

المفتش : حتى الآن لا . انه مجرد استدعاء .

موريس : وبعدهـــا ؟

المفتش : لا علم لنا حتى الآن .

(موريس وهنرييت يتجهان نحو الباب)

موريس : وداعا للجميـــع !

(يظهر الانفعال على الجميع . المفتش وموريس وهنرييت يخرجون)

أميــــل : (يدخل ويذهب الى جين) الآن سأصحبك الى البيت يا أختي .

جــين : وما رأيك في هذا كله ؟

أميــــل : ان الرجل برىء .

القسيس : ولكن رأيي ، أن الواقع الآن وفي كل آن ، أن خرق الوعد دناءة ، وهي دناءة لا تغتفر اذا تعلقت بامرأة وطفلهـــا .

أميــــل : نعم ، كان يجب أن أحس بمثل ذلك أيضـــا والأمر متعلق بأختي ذاتها ، ولكني لسوء الحظ ممنوع من أن أرمي الحجر الأول ، لأني انـــا نفسي فعلت ذات الشيء .

القسيس : مع أني مبرأ من أي خطيئة من هذا النوع فاني لن أرمي أي حجارة كذلك . ولكن العمـــل يدين نفسه وفي عواقبه عقابه .

جــين : صلّ له بل لهما جميعا !

القسيس : لا لن أفعل شيئا من هذا القبيل ، لأن من سوء الأدب محاولة تبديل كلمات الله . وماحدث هنا ليس من صنع البشر حقا .

المنظر الثاني

أوبرج الآدريه . ادولف وهنرييت جالسان الى نفس المنضدة التى كانت تجلس عليها مع موريس في الفصل الثانى . امام ادولف فنجان من القهوة . هنرييت لم تطلب شيئا) .

ادولـــف : تعتقدين اذن انه سيجىء الى هنا ؟

هنرييت : أنا متأكدة . لقد اطلق سراحه ظهر اليوم لعدم وجود أدلة ، ولكنه لم يرد أن يظهر في الشوارع قبل حلول الظلام .

ادولـــف : ياله من مخلوق مسكين. أوه ، الحق ان الحياة تبدو لى مرعبة منذ أمس .

هنرييت : وما بالك بى؟ انى خائفة من أن أعيش. لا أكاد اجرؤ على التنفس ، أو حتى على التفكـــير ، منذ علمت أن هناك من يتجسس لاعلى كلماتى فحسب بل وعلى افكارى .

ادولـــف : اذن فقد كنتما هنا تلك الليلة حين لم استطـــع العثور عليكما ؟

هنرييت : نعم ، ولكن لا تتكلم عن ذلك . انى لأموت خجلا كلما ذكرته . ادولف انك من طينـــة مختلفة أفضل منه أو منى . . .

ادولـــف : اش . . . ش . . . ش .

هنرييت : نعم ، هذا حق . وما الذى حملنى على البقاء هنا ؟ كنت كسولا. كنت مرهقة . اسكرنى نجاحه ، وسحرنى . . . لا أستطيع تفســـير الأمر . ولكن ما كان ذلك ليحدث ابدا لـــو أنك جئت . واليوم أنت عظيم ، وهو ضئيل.. أضأل من كل من عداه . بالأمس كان يملك مائه ألف فرنك ، وهو اليوم لا يملك شيئاالأن مسرحيته قد سحبت . والرأى العام لن يغفرله أبدا . لان زندقته ستدان بنفس الصرامة كمـــا لو كان هو القاتل . أولئك الذين يمعنـــون النظر في الأمور يرون أن الطفلة انما ماتـــت حزنا ، وبذا فهو مسئول عن موتها على أى حـــال .

ادولــف : انك تعرفين رأيي في هذه المسألة يا هنرييت، ولكني أحب ان استوثق من أن كليكما خال من كل شائبة . أفلا تقولين لي ماذا كانت تعني كلماتك المرعبة تلك ؟ لا يمكن ان يكون من قبيل المصادفة أن يحفل حديثكما في ساعة لهو كتلك بذكر القتل والمشنقة .

هنرييت : لم يكن من قبيل المصادفة . كان شيئا يجب أن يقال ، شيئا لا أستطيع أن اخبرك به . . .ربما لأنه ليس من حقي أن أبدو مبرأة من الشوائب امام عينك ، لأنني لا أرى نفسي كذلك .

ادولــف : كل هذا يستعصي على ادراكي .

هنرييت : فلنتكلم في شيء آخر . . . أتعتقد أن بين الناس عموما مجرمين لم يلحقهم العقاب ، قد يكون بعضهم حتى من أصدقائهم الأقربين؟

ادولــف : (بعصبية) لماذا ؟ ماذا تقصدين ؟

هنرييت : ألا تعتقد ان كل انسان قد ارتكب في ساعة ما عملا كان من شأنه ان يقع تحت طائلة القانون لو انه اكتشف ؟

ادولـــف : نعم ، اعتقد ان هذا حق . ولكن مامن عمل سيء يخطئه عقـــاب ضمير مرتكبه عـــلى الأقل . (يقف ويفك أزرار معطفه) وليس الصالح الحق هو الذى لم يرتكب خطأ .ــــــ (يتنفس بعمق) لأننا لكى نعرف كيف نغتفر لابد أن نكون قد جربنا الحاجة الى الغفران . كان لى صديق كنا ننظر اليه كرجل مثالى . لم يوجه قط عبارة جارحة لإنسان . كان صفحه يتسع لكل شيء ولكل شخص. وكان يتحمل الاهانات برضى عجيبـــ لانستطيع تفسيره . واخيرا ، وبعد أن تقدمت به السن ، أفضى الى بسره في كلمة واحدة : انا مذنب تائب ! (يجلس مرة أخرى)

(هنرييت تظل صامتة تنظر اليه في دهشة)

ادولـــف : (وكأنما يكلم نفسه) هناك جرائم لم ترد في القانون الجنائى ، وهى الأسوأ ، لأننا يجب ان نتولى عقابها بأنفسنا ، وليس أقسى من نفس الانسان قاضيا حين يحاكم نفسه .

هنريت : (بعد سكوت) وهل تحقق السلام لصديقك ذاك ؟

هولـــف : بعد تعذيب متصل للنفس بلغ درجة معينة من الاتزان ، ولكن الحياة لم يعد بها اى نوع من البهجة الحقة تقدمه اليه . لم يجرؤ قط على قبول اى نوع من التكريم . لم يجرؤ قط على ان يرى نفسه اهلا لكلمة حانية أو لثناء يستحقه : وفي كلمة واحدة ، لم يستطع قط أن يغفر لنفسه غفرانا كاملا .

هنريت : قط ؟ وماذا كانت جريمته اذن ؟

ادولـــف : تمنى الموت لأبيه . فلما مات ابوه فجأة تصور الابن انه قاتله . واعتبرت تلك التصورات اعراضا لمرض عقلى فأودع احد المصحات ثم أخرج منه بعد وقت ما باعتبار انه قد شفى تماما . . . كما قالوا . ولكن الشعور بالذنب ظل يلازمه ، فراح يواصل معاقبة نفسه على افكاره الشريرة .

هنريت : وهل أنت متأكد أن الارادة الشريرة لايمكن أن تقتل ؟

ادولـــف : اتقصدين بطريقة روحية ؟

هنريت : كما تشاء . فلتكن روحية . ففى محيط اسرتى . . .

أنا واثقة من أن أمى وأخواتى قتلن ابنى بكراهيتهن . فقد كان يدين بالفكرة الكريهة من انه يجب ان يعارض كل ميولنا واتجاهاتنا. وحيثما اكتشف موهبة طبيعية يحاول أن يجتثها من جذورها . وبهذه الطريقة أثار مقاومة ظلت تتجمع حتى صارت كالبطارية الكهربائية المشحونة بالكراهية ، وراحت قوتها تتعاظم حتى هزمته واستقطبته وسلبته ارادته ،وبلغ به الأمر في النهاية أن يتمنى الموت لنفسه .

ادولف : أو لم يؤنبك ضميرك أبداً ؟

هنريت : لا . ثم انني لا أعرف ماهو الضمير .

ادولف : لاتعرفين ؟ اذن فستعلمين حالا (سكوت) كيف تعتقدين ستكون هيئة موريس عندما يصل الى هنا ؟ ماذا تظنينه سيقول ؟

هنرييت : اتعلم أننا صباح أمس حاولت انا وهو ان نسأل نفس السؤال عنك عندما كنا في انتظارك؟

ادولف : نعم ؟؟

هنرييت : وكان ظننا خاطئا على طول الخط .

ادولـــف : اتستطيعين ان تقولى لى لماذا ارسلتما الى ؟

هنرييت : حقد ، وتسلط ، وقسوة سافرة

ادولـــف : كم هو غريب انك تستطيعين ان تسلمى باخطائك ومع هذا لاتندمين عليها.

هنرييت : لابد أن ذلك لانى لا اشعر بأنى مسئولة تماماً عنها . انها كالاوساخ التى تتركها الاشياء التى تتداولتها الايدى نهارا ثم غسلت ليللا ولكن قل لى شيئا واحدا : اتعتقد حقا في سمو الانسانية على النحو الذى تزعمه ؟

ادولـــف : نعم ، فنحن افضل قليلا مما نبدو . . . وأسوأ قليلا .

هنرييت : هذه ليست اجابة حاسمة .

ادولـــف : نعم ، انها ليست كذلك . ولكن أأنتمستعدة لأن تجيبينى بصراحة اذا سألتك : هل مازلت تحبين موريس ؟

هنرييت : لا أستطيع ان اجيب حتى أراه . ولكنى في هذه اللحظة لا أشعر بشوق اليه ، ويبدو أننى

استطيع ان اعيش بدونه على خير مايرام .

ادولـــف : من المعقول ان تستطيعى ، ولكن أخشى انك قد ارتبطت بمصيره . اش . . . ش . . . ش ها هو قد جاء .

هنرييت : لعمرى كيف تكرر الأحداث نفسها ! ان الموقف هو نفس الموقف ، والكلمات هى نفس الكلمات ، عندما كنا ننتظرك أمس

موريس : (يدخل شاحبا كالموت ، اجوف العينـــين ، غير حليق) ها أنا يا أصدقائى الاعزاء ، اذا كان هذا هو أنا . لأن تلك الليلة الماضيـــة فى الزنزانة قد صيرتنى مخلوقا جديدا .

(ينظر الى هنرييت وادولـــف)

ادولـــف : اجلس واستعد هـــدوءك واذ ذاك نستطيع أن نتكلم فى كل شىء .

موريس : (الى هنرييت) لعلى أثقل عليكما ؟

ادولـــف : لا تستبد بك المـــرارة .

موريس : لقد صرت رجلا سيئا فى تلك الأربـــــع والعشرين ساعة ، ومتشككا أيضا ، ولـــذا

أظن الجميع سيتخلون عني سريعا فمن ذا الذى يريد أن يصاحب قاتلا ؟

هنرييت : ولكن الاتهام اسقط عنك .

موريس : (يتناول احدى الصحف) نعم من قبل الشرطة ، لامن قبل الرأى العام . فها أنت ترى القاتل موريس جيرار ، الكاتب المسرحى السابق ، وصديقته هنرييت موكلارك . . .

هنرييت : اوه ، امى واخواتى . . . امى ! ارحمنى يا الهى !

موريس : وهل ترى اننى ابدو كقاتل في الواقع ؟ وبعدها جرى التلميح بأن مسرحيتى كانت مسروقة ، وبذا لم تبق اثارة من بطل الأمس المنتصر وبدلا من اسمى ظهر اسم عدوى اوكتاف في لوحات الصرف وسيقبض المائة الف فرنك التى تخصنى . يا حكماء المشرعين ! هذا هو الحظ ، وهذه هى الشهرة . انك لسعيد يا ادولف لأنك لم تنجح بعد .

هنرييت : اذن فأنت لم تعلم ان ادولف قد حقق نجاحا باهرا في لندن وفاز بالجائزة الأولى ؟

موريس : (بغموض) لا ، لم أعلم بهذا . اهو صحيح يا ادولف ؟

ادولف : انه صحيح ، ولكنى اعدت الجائزة .

هنرييت : (بتأكيد) هذا ما لم اعلمه ! اذن فأنت ممنوع من قبول اى تكريم . . . مثل صديقك ؟

ادولف : صديقى ؟ (مرتبكا) أوه ، نعم ، نعم !

موريس : ان نجاحك يسرنى ، ولكنه مع ذلك يزيد مسافة البعد بيننا .

ادولف : هذا ما توقعته . واعتقد انى سأكون معزولا بنجاحى عزلتك بخصوماتك . تصورأن الناس يتأذون من اقبال الحظ علينا ! أوه ، انه لمن المرعب أن تكون حيا !

موريس : أنت تقول هذا ! ماذا انا قائل اذن ؟ لكأن عينىّ قد اسدل عليهما نقاب أسود غيَّر من شكل الحياة كلها ومن لونها . هذه الحجرة تشبه تلك التى رأيتها أمس ومع هذا فهى جد مختلفة . انى اعرف كليكما بالطبع ، ولكن وجهيكما جديدان علىّ . انى لأجلس هنا

ابحث عن الكلمات لأنى لا ادرى ماذا اقول لكما . يجب ان أدافع عن نفسى ولكنى لا استطيع . وانى لأكاد افتقد الزنزانة ، لأنها حمتنى على الاقل من نظرات الفضول التى تنفذ الى صميمى . القاتل موريس وصديقته ! انك لم تعودى تحبينني يا هنرييت ، ولا انا عدت اكترث بك . انك اليوم شوهاء كئيبة فاترة منفرة .

(رجلان في ملابس مدنية كانا قد جلسا في هدوء الى منضدة في المؤخرة)

ادولف : انتظر — لحظة واستجمع افكارك . ان اسقاط التهمة ونفى كل الشبهات عنك لابد ان يظهر في بعض صحف المساء . وهذا ينهى الأمر كله . سيعاد عرض مسرحيتك ، وعلى أسوأ الفروض تستطيع أن تكتب مسرحية جديدة . ارحل عن باريس لمدة سنة ، وسينسى كل شيء . وأنت الذى أنصفت الجنس البشرى ستجد الانصاف لنفسك .

موريس : ها ها الجنس البشرى ! ها ها !

ادولـــف : هل عدلت عن الاعتقاد بالخير ؟

موريس : نعم ، إذا كنت قد اعتقدت به يوما . لعلها لم تكن الاحالة مزاجية ، طريقة للنظر إلى الاشياء ، نوعا من التأدب مع الوحوش الضارية . فعندما يصل الأمر بى أنا ، الذى كنت اعتبر من خيرة الناس ، إلى مثل هذه الحالة من التهروء ، كيف اذن يكون مبلغ تعس غيرى ؟

ادولـــف : سأذهب الآن لأحضر كل جرائد المساء ، وبعدها سيكون من حقنا بلاشك ان ننظر إلى الأمور بطريقة مختلفة .

موريس : (يلتفت إلى الخلفية) شرطيان سريان ! ... معنى هذا انى مفرج عنى تحت المراقبة لعلى اكشف نفسى في حديث غير حذر .

ادولـــف : انهما ليسا شرطيين . ماهو الا خيالك . انا اعرف كليهما . (يذهب نحو الباب)

موريس : لا تتركنا وحدنا يا ادولف . اخشى انى وهنرييت قد ندخل في مناقشات صريحة .

ادولف أوه ، كن عاقلا يا موريس وفكر في مستقبلك . حاولى ان تهدئيه ياهنرييت . سأعود بعد لحظة . (يخرج)

هنرييت : الآن يا موريس ما رأيك في اجرامنا أوبراءتنا ؟

موريس : انا لم اقتل احدا . كل ما فعلته هو انني اسرفت في الكلام الفارغ وأنا سكران . ولكنك جريمتك هى التى تعود فتطيل ، وتلك الجريمة التى نقلتها الى .

هنرييت : أوه ، أهذه هى اللهجة التى تتكلم بها الآن ! الم تكن انت الذى لعنت طفلتك وتمنيت موتها واردت ان ترحل دون ان تودع احدا ؟ أو لم أكن أنا التى حملتك على زيارة ماريون والمرور على مدام كاثرين ؟

موريس : نعم ، انت على حق. سامحيني. لقد اثبت انك اكثر انسانية منى ، والجناية كلها جنايتى انا. سامحيني . ولكن مع هذا فأنا برىء من كل ذنب . من الذى حاك هذا الشرك الذى لن استطيع أن احرر نفسى منه ؟ مجرم بلا جريمة ، برىء ولكن مجرم ! اوه، ان هذا يدفع بى الى

الجنون . انظرى . . . انهما الآن جالسان هناك يتسمعان علينا. ومامن خادم يجيء لتلقي طلباتنا . سأخرج لأطلب فنجالا من الشاى . اتريدين شيئا ؟

هنرييت : لا .

(يخرج موريس)

الشرطي الأول : (يذهب الى هنرييت) ارنى أوراقك .

هنرييت : كيف تجروؤ على مخاطبتى ؟

الشرطي : اجرؤ ؟ سأريك .

هنرييت : ماذا تعنى ؟

الشرطي : ان عملى هو مراقبة جوابات الطرق . لقد جئت الى هنا أمس مع رجل ، واليوم مع آخر . هذا كالدوران في الشوارع تماما والسيدات غير المصحوبات برجال لاشأن لهن في هذا المكان . ولذا فمن الخير ان تخرجى وتجيئى معى .

هنرييت : ان الرجل الذى يصحبنى سيعود بعد لحظة .

الشرطي : نعم ، وانه لصاحب من نوع جميل . . .ذلك

النوع الذى لا يعين الفتاة بشيء .

هنرييت : يا الهى ! أمى ، اخواتى ! . . . أنا من أسرة طيبة .

الشرطى : نعم ، أسرة من الطراز الأول ، أنا واثـــق . ولكنك معروفة جدا من أوراقك . هيا معى

هنرييت : الى أين ؟ ماذا تعنى ؟

الشرطى : أوه ، الى المكتب طبعا . هناك ستحصلين على بطاقة صغيرة لطيفة ورخصة تخولك الرعايـــة الطبية مجانا .

هنرييت : أوه يا الهى ! انت لست جادا .

الشرطى : (يمسكها من ذراعها) الست جـــادا ؟

هنرييت : (تركع على ركبتيها) انقذنى يا موريس ! النجـــدة !

الشرطى : اخرسى ايتها المجنونة !

(يدخل موريس يتبعه الخـــادم)

الخـــادم : نحن لا نخدم السادة الذين من نوعك هنا.ادفع ما عليك واخرج . وخذ البنت معك

موريس : (مغلوبا على امره يفتش جيوبه بحثا عن نقود) هنرييت ، ادفعي ما عليّ وهيا نغادر هــذا المكان . لم يبق معي فلس .

الخــادم : اذن فالسيدة ستدفع لألفونس ! الفونــس ! اتعرف ما هذا ؟

هنرييت : (تنظر في محفظتها) أوه ، يارحمن يارحيم ! وأنا ايضا ليس معي نقود ! لماذا لا يعــود أدولــف ؟

المفتش : هل رأيت قط مثل هؤلاء القذرين . اخرجــا من هنا واتركا شيئا على سبيل الضمان . مثل هذا النوع من السيدات تمتلئ اصابعهم بالخواتم في العــادة .

موريس : ايمكن ان نكون قد انحدرنا الى هذا الحد ؟

هنرييت : (تخلع خاتما وتناوله للخادم) كان القسيس على حق : هذا ليس من صنع البشر .

موريس : لا ، بل من فعل الشيطان . ولكن اذا انصرفنا قبل ان يعود ادولف فسيظن أننا خدعنــاه وهربنــا .

هنرييت : سيكون ذلك تكملة لما سبق. . . ولكننا ذاهبان لنغوص الى قاع النهر الآن ، اليس كذلك ؟

موريس : (يأخذ يد هنرييت ويخرجان) قاع النهر . . . نعـــم ! .

ســـتار

***

الفصل الرابع

المنظر الاول

في حدائق لوكسمبورج عند مجموعة آدم وحواء . الريح تهز الشجر وتثير الأوراق الجافة والقش وقطع الورق من الأرض :

(موريس وهنرييت جالسان على مقعد .)

هنرييت : اذن فأنت لا تريد أن تموت ؟

موريس : لا . أنا خائف . أتصور أنني سأكون بردان جدا هناك في القبر ، لا ألتحف سوى ملاءة ولا أفترش الا بضعة خرق . وفضلا عن هذا يبدو لى وكأنه مازالت هناك مهمة تنتظرنى ولكنى لا أستطيع ادراك كنهها .

هنرييت : ولكنى استطيع ان أحزرها .

موريس : قولى لى .

هنرييت : انها الثأر . كان لابد لك ولى من أن نشتبه في أن جين واميل هما اللذان ارسلا الشرطة

ورائى أمس . فمثل هذا الانتقام من منافس لاتستطيع أن تدبرْ ، سوى امرأة .

موريس : هذا بالضبط ماكنت افكر فيه . بل دعيني اقل لك إن شبهاتى تذهب حتّى الى ابعد من هذا . فيبدو أن ما عانيته خلال الأيام القليلة الماضية قد شحذ ادراكى . هل تستطيعين أن تفسرى لى مثلا لماذا لم يدع خادم أوبرج الآدريه ولا رئيس خدم البافليون للشهادة في التحقّيق ؟

هنرييت : لم افكر في هذا ابدا من قبل . ولكنى أدرك الآ ن أن ليس عندهما ما يقولان لأنهما لم يسمعا شيئا .

موريس : ولكن كيف اذن عرف المفتش ماكنا نقوله ؟

هنرييت : لم يعرفه ، بل ألفه . كان يخمن ، وجاء تخمينه صحيحا . ولعله سبق أن صادف قضية مشابهة .

موريس : أو أنه استشف من نظراتنا ماكنا نقول . فهناك من يستطيعو ن أن يقرأو أفكار الغير ... فنظرا لأن ادولف كان الغر فقد بدا من

الطبيعي جدا ان نسميه حمارا . فهذه هي القاعدة على ما أعلم ، وان كانت تختلف احيانا باستعمال كلمة « المغفل » بدلا من « الحمار » ولكن هذه كانت اقرب في حالتنا حيث كنا نتكلم عن العربات وعربات النصر .

هنريت : تصور مدى ما تركنا انفسنا نستغرق فيه .

موريس : هذه عاقبة احسان الظن بالناس . هذا كل ما تنالين منه . ولكن اتعلمين أني أشتبه في شخص آخر وراء المفتش ، لا بد ، بالمناسبة ، ان يكون وغدا لا مثيل له .

هنريت : أتقصد القسيس الذى كان يقوم بدور المخبر السرى الخاص ؟

موريس : هذا ما اقصده . فهذا الرجل يتلقى اعترافات الجميع ، ولاحظي ان ادولف نفسه قال لنا انه ذهب الى كنيسة سان جرمان ذلك الصباح ماذا كان يفعل هناك ؟ كان يغتابنا بالطبع ويندب حظه . ومن ثم كوّن القسيس الاسئلة للمفتش .

هنريت : قل لى : هل تثق في ادولف ؟

موريس : ما عدت اثق في أى مخلوق آدمى .

هنريت : حتى في ادولف ؟

موريس : بل هو اقل الجميع . كيف استطيع ان اثـق بعدو . . . برجل انتزعت منه صديقته ؟

هنريت : طيب . مادمت قد بدأت الحديث في هـذا فسأعطيك بعض المعلومات عن صديقنا : هل سمعت انه اعاد ذلك الوسام الذى حصل عليه من لندن ؟ هل تعلم لم فعل ذلك ؟

موريس : لا .

هنريت : انه يعتقد نفسه غير جدير به ، وقد قطـع على نفسه عهد توبة بألا يقبل أبداً اى نوع مـن التكريم .

موريس : اهذا ممكن ؟ ولكن ما الذى فعله ؟

هنريت : ارتكب جناية من النوع الذى لا يلاحقـه القانون بالعقاب . هذا ما جعلنى هو افهمـه بطريقة غير مباشرة .

موريس : هو ، أيضا ! هو ، خير الجميع ، الرجـل

المثالى ، الذى لا يذكر احداً قط بسوء والذى يغتفر كل شيء .

هنرييت : طيب . هأنت ذا ترى أننا لسنا أسوأ من غيرنا . ومع هذا فنحن متبوعان ليل نهار وكأن الشياطين في اثرنا .

موريس : هو ، ايضا ! اذن فلم يتجنّ أحد على الجنس البشرى . . . ولكن ما دام انه استطاع ان يرتكب جريمة واحدة ، فيمكنك ان تتوقعى اى شيء منه . لعله هو الذى ارسل الشرطة وراءك أمس . واذ افكر في الأمر الآن ، فهو الذى هرب مبتعدا عنا عندما رأى أن اسماءنا في الجرائد ، وكذب عندما أصر على أنهذين الشخصين لم يكونا من الشرطة السرية . ولكن يمكن ان تتوقعى بالطبع أى شيء من عاشق مخدوع .

هنرييت : ايمكن ان يكون منحطا إلى هذه الدرجة ؟ لا ، مستحيل ، مستحيل ! . .

موريس : ولم إذا كان وغـــدا ؟ فيم كنتما تتكلمان أمس قبل مجيئى ؟

هنرييت : لم يذكرك الا بالخير .

موريس : هذا كذب .

هنرييت : (تسيطر على نفسها وتغير لهجتها) اسمع . هناك شخص لم توجه اليه ادنى شبهه . . . لأى سبب ، لا أدرى . هل فكرت في اتجاه مدام كاثرين المتذبذب في هذه المسألة ؟ ألم تقل في النهاية انها تعتقد انك قادر على اى شىء ؟

موريس : نعم قالت ذلك . وهذا يظهر اى نوع من الناس هى ، فلأن تظنى السوء بالناس دون سبب لابد أن تكونى انت نفسك شريرة .

(هنرييت تنظر اليه بشدة . سكوت)

هنرييت : لأن تظن السوء بالناس لابد أن تكون انت نفسك شريرا .

موريس : ماذا تعنين ؟

هنرييت : اعنى ما قلت .

موريس : اتعنين انى . . .

هنريت : نعم ، هذا هو ما اعنيه الآن . اسمع ! هل قابلت احدا غير ماريون عندما ذهبت إلى هناك صباح أمس .

موريس : لمـــاذا تسألين ؟

هنريت : خمّن .

موريس : طيب . مادام يبدو انك تعلمين . . . فقد قابلت جين ايضا .

هنريت : ولماذا كذبت عليّ ؟

موريس : اردت ألا أضايقك .

هنريت : والآن تريدنى أن أثق في شخص كان يكذب عليّ ؟ لا يـــا ولدى ، الآن اعتقد انـــك المذنب في ذلك القتل .

موريس : انتظرى لحظة ! الآن قد وصلنا إلى المكان الذى ظلت افكارى تتجه اليه طول الـــوقت ولـــو انى قـــاومتها ماوسعنى الجهد . مـــن الغريب أن ماهو أقرب إلى الانسان لايراه الا أخيرا ، وأن مالا يريد الانســـان

ان يصدقه لا يستطيع ان يصدقه . قولى لى اين ذهبت أمس بعد أن افترقنا في غابة بولوينا ؟

هنرييت : (مذعورة) لماذا ؟

موريس : إما انك ذهبت إلى ادولف ، وهو مالم تستطيعيه لأنه كان يحضر احد الدروس ، أو انك ذهبت إلى ماريون .

هنرييت : الآن انا مقتنعة بأنك انت القاتل .

موريس : وانا بأنك أنت القاتلة . انت وحدك كانت لك مصلحة في ازاحة الطفلة من الطريق . . . لتتخلصى من الصخرة التى تعترض الطريق على حد قولك .

هنرييت : لقد كنت أنت الذى قلت هذا .

موريس : والشخص الذى له مصلحة في الجريمة لابد أنه مرتكبها .

هنرييت : اسمع يا موريس ، لقد ظللنا نلف وندور حول هذه المسألة في غمز ولمز ، فلنتصرف قبل أن نصل إلى حد الجنون الخالص .

موريس : لقد وصلت إلى هذا الحد بالفعل .

هنرييت : ألاترى أن الوقت قد حان لأن نفترق قبل أن نتدافع إلى الجنون ؟

موريس : بلى ، اعتقد ذلك .

هنرييت : (تقف) الوداع اذن !

(رجلان في ملابس مدنية يظهران في المؤخرة

هنرييت : (تستدير وتعود إلى موريس) هاهما قد عادا !

موريس : الملكان الأسودان اللذان يريدان ان يطردانا من الحديقة .

هنرييت : ويكرهاننا على العودة إلى بعضنا البعض كما لو كنا مصفدين بسلسلة واحدة .

موريس : أو كأنه محكوم علينا بزواج مؤبد . هل علينا حقا أن نتزوج ؟ أن نستقر في مكان واحد ؟ أن يكون في وسعنا ان نغلق الباب وراءنا ، وأن قد نجد السلام في النهاية ؟

هنرييت : وأن نحبس أنفسنا ليعذب كل منا صاحبه حتى الموت . ونقبع وراء الاقفال والمزاليج مع شبح من دعوى الزواج ، انت تعذبني بذكرى

ادولف ، وأنا اكرُ عليك بجين . . .وماريون

موريس : لا تذكرى اسم ماريون مرة أخرى لي أبدا ! ألا تعلمين أن موعد دفنها هو اليوم . . . بل لعله هذه اللحظة بالذات .

هنرييت : وأنت لست هناك ؟ مامعنى ذلك ؟

موريس : معناه ان جين والشرطة كليهما حذرانى من غضب الجمهور .

هنرييت : وَجَبَانٌ ، أيضا ؟

موريس : كل الرذائل ! كيف استطعت أن توجهى اهتمامك الى ؟

هنرييت : لأنك منذ يومين كنت شخصا آخر جديرا بالحب . . .

موريس : والآن غائص الى الحضيض !

هنرييت : اليس هذا هو الواقع ؟ ولكنك بدأت تظهر صفات سيئة ليست لك .

موريس : بل لك أنت ؟

هنرييت : ربما ، لأنك عندما تبدو أسوأ قليلا أشعر على الفور بأننى أحسن قليلا .

موريس : ذلك أشبه بنقل عدوى المرض للابقاء على احترام النفس .

هنريت : ولكم صرت حوشيا كذلك !

موريس : نعم ، لقد لاحظت ذلك بنفسي . وأكاد لا أعرف نفسي منذ تلك الليلة التي قضيتها في الزنزانة . انهم يدخلون انسانا ويخرجون غيره من تلك البوابة التي تفصلنا عن بقية المجتمع . والآن اشعر بأني عدو للجنس البشرى كله : بودى أن اشعل النار في الأرض وأجفف البحر فلا شيء غير دمار هذا العالم يمكن أن يمحو مالحقني من العار .

هنريت : تلقيت خطابا من أمي اليوم . انها ارملة رائد في الجيش ، متعلمة ، ذات افكار عتيقة عن الشرف وما اليه . أتريد ان تقرأ الخطاب ؟ لا ، لا تريد ! . . . أتعلم أنني طريدة ! معارفي المحترمون لن يكون لهم شأن بي ، واذا ظهرت في الشوارع وحدى فستقبض على الشرطة . هل تدرك الآن أننا لا بد من أن نتزوج ؟

موريس : نحن نتبادل الاحتقار ، ومع هذا لا بد من

أن نتزوج . هذا هو الجحيم في حقيقة معناه . ولكن يا هنرييت قبل أن نربط مصيرينا يجب ان تخبريني بسرك ، كيما يتحقق لنا قدرا كبر من المساواة .

هنرييت : وهو كذلك ، سأقول لك . كانت لى صديقة وقعت في مأزق . . . أتفهمني ؟ وأردت أن اساعدها حيث كان مستقبلها كله في خطر . . . وقد ماتت !

موريس : كان ذلك تهورا ، ولكن من الممكن اعتباره عملا نبيلا أيضا .

هنرييت : انت تقول هذا الآن ، ولكن بمجرد أن تثور ثائرتك سوف تتهمني به .

موريس : لا ، لن افعل ذلك . ولكنى لا استطيع انانكر انه زعزع ثقتي فيك وانه جعلني أخاف منك. قولى لى، أما يزال عشيقها حيا، وهل يعلم الى أى مدى كنت أنت المسئولة ؟

هنرييت : كان جرمه مثل جرمى .

موريس : واذا بدأ ضميره يؤنبه ــ ومثل هذا يحــدث

فعلا ـ وأحس بالميل الى الاعتراف ، اذ ذاك قد تضيعين .

هنرييت : اعرف ذلك ، وهذا الفزع الدائم هـو الذى جعلنى اندفع من ضياع الى ضياع . . . حتى لم يبـق عندى وقت قط للصحو الكامل .

موريس : والآن تريديننى أن آخذ نصيبى من فزعـك بالزواج . أليس في هذا بعض الأسراف في الطلـب ؟

هنرييت : ولكنى عندما شاركت موريس القاتلعاره...

موريس : فلننته من هذا .

هنرييت : لا ، ان النهاية لم تحن بعد . ولن افلت قبضتى حتى أضعك في مكانك . لأنك لا تستطيع أن تسير معتقدا أنك خير منى .

موريس : اذن فأنت تريدين أن تحاربينى ؟ فليكن . لك ما تشائين !

هنرييت : حرب على الموت والحياة !

(يسمع صوت طبول من بعيد)

موريس : ستغلق الحديقة . « ملعونة الأرض من أجلك. ستخرج لك الشوك والحسك »

هنريت : وقال الله للمرأة . . .

حارس : (في لباس رسمي يتكلم بأدب) آسف. أن الحديقة ستغلق .

المنظر الثاني

محل بيع الالبان . مدام كاثرين جالسة الى الطاولة ترصد بعض الحسابات في دفتر . ادولف وهنريت جالسان الى منضدة .

ادولف : (في هدوء وعطف) ولكن اذا أكدت لك تأكيدا قاطعا أنني لم أهرب ، بل على العكس، اعتقد انكما خدعتماني ، فانك يجب ان تقتنعي.

هنريت : ولكن لماذا ضحكت علينا وقلت ان هذين الرجلين لم يكونا من الشرطة ؟

ادولف : لم أكن أنا نفسي أعتقد أنهما كذلك . ثم اني اردت أن أطمئنكما .

هنريت : عندما تقول ذلك أصدقك ولكن يجب عليك

اذن أن تصدقنى اذا أنا أفضيت اليك بدخيلة نفسى .

ادولــف : هيـــا .

هنرييت : ولكن لا تعد الى حديثك المعتاد عن الخيالات والهلوسة .

ادولــف : يبدو أن لديك ما يحملك على أن تخشى ذلك .

هنرييت : انا لا أخشى شيئا ولكنى اعرفك وأعــرف تشككك . . . على اى حال . . . ويجب ألا تفضى بهذا لأى انسان . . . عاهدنى !

ادولــف : أعاهــدك .

هنرييت : الآن فكر فيما سأقول ، يجب أن أقر بأنه شىء رهيب : لدى بعض الدليل على أن موريس مذنب ، أو على الأقل شبهات معقولة . . .

ادولــف : أنت لست جــادة !

هنرييت : اسمع واحكم بنفسك . عندما تركنى موريس في الغابة قال انه ذاهب ليرى ماريون وحدها لأن أمها كانت في الخارج . والآن اكتشفت

فيما بعد انه قابل الأم بالفعل . واذن فقد كان يكذب عليّ .

ادولـــف : يجوز . ويجوز ان يكـــون دافعه لذلك خيرا. ولكن كيف يمكن لأى انسان ان يستنتج منه أنه مذنب في جريمة قتل ؟

هنرييت : ألا تستطيع ان ترى ذلك . . . ؟ ألا تفهم ؟

ادولـــف : لا ، ابـــدا .

هنرييت : لأنك لا تريد ! . . . واذن فلم يبق امامى الا أن أبلغ عنه ، وسوف نرى ما اذا كان يستطيع أن يقدم دليلا مضادا .

ادولـــف : هنرييت ، دعينى اصارحك بالحقيقة العارية ، أنت — مثله — قد وصلت إلى حد الجنون . لقد أمسكت شياطين الشك بتلابيبكما فراح كل منكما يستخدم احساسه الجزئى بالذنب في طعن صاحبه ، ولئن صح ظنى فقد وصل هو أيضا إلى حد اتهامك بقتل طفلته .

هنرييت : نعم ، لقد بلغ به الجنون هذا الحد .

ادولـــف : انت تسمين شبهاته جنونا دون شبهاتك .

هنرييت : عليك أولا أن تثبت العكس ، أو انني أشك فيه بغير وجه حق .

ادولف : نعم هذا سهل . لقد ثبت من تشريح جديد للجثة أن ماريون ماتت بمرض معروف جدا لا أستطيع أن اذكر اسمه الغريب الآن .

هنرييت : أهذا صحيح ؟

ادولف : ان التقرير الرسمى في الجريدة اليوم .

هنرييت : لا اعتبار عندى لهذا . انهم يستطيعون اصطناع مثل هذا الشيء .

ادولف : حذار ياهنرييت . . والا تجاوزت الحد دون أن تدرى . وحذار على الأخص من القاء اتهامات قد تدفع بك إلى السجن . حذار ! (يضع يده على رأسها) أأنت تكرهين موريس ؟

هنرييت : فوق كل تصور !

ادولف : عندما ينقلب الحب كرها يكون المعنى انه فاسد منذ البداية .

هنرييت : (في حالة أهدأ) ماذا ينبغى على أن أفعل ؟ قل لى . أنت الوحيد الذى يفهمنى .

ادولــف : ولكنك لا تريدين أية مواعظ .

هنرييت : أو ليس لديك ما تقدمه غيرها ؟

ادولــف : لا شىء . ولكنها ساعدتنى أنا .

هنرييت : انطلق بمواعظك اذن !

ادولــف : حاولى أن توجهى كراهيتك إلى نفسك . اغمدى الخنجر في الموضع السيء من نفسك فهناك اصل كل شقائك .

هنرييت : وضح ما تقول .

ادولــف : افترقي عن موريس أول كل شيء ، حتى لا تستغرقا معا في تأنيب الضمير . ثم اقطعى حياتك كفنانة ، فالشيء الوحيد الذى جرّك اليها انما هو التعطش الى الحرية والمرح ، كما يسمونه . ولقد رأيت مبلغ ما فيها من مرح. وبعدها عودى للبيت الى أملك .

هنرييت : مستحيل !

ادولــف : الى مكان آخر اذن .

هنرييت : اعتقد أنك عرفت يا ادولف انني ادركت سرك ولماذا لم تقبل الجائزة .

ادولف : أوه ، لقد افترضت انك ستفهمين الحكاية الناقصة .

هنرييت : طيب . ماذا فعلت لتسترد اطمئنانك ؟

ادولف : فعلت ما اقترحته : احسست بذنبي فندمت وقررت أن أقلب صفحة جديدة ورتبت نفسى على حياة التائبين .

هنرييت : وكيف تستطيع أن تندم حين تكون مثلى بلا ضمير ؟ هل الندم نعمة أوتيتها مثل الإيمان . ؟

ادولف : كل شيء نعمة ولكنها لا توهب الا لمن يطلبها . . . اطلبيها !

(هنرييت تظل صامتة)

ادولف : ولكن لا تنتظرى حتى يفوت الأوان فيقسو قلبك وتقعى في المحظور .

هنرييت : (بعد سكوت) هل الضمير هو الخوف من العقاب ؟

ادولـــف	: لا . انه الفزع الذى تثيره في جانب الخير منا فعال السوء الصادرة عن جانب الشر.
هنرييت	: اذن فلا بد ان لى ايضا ضميرا ؟
ادولـــف	: بالطبـــع . ولكن . . .
هنرييت	: قل لى يا ادولف ، أأنت ما يسمونه "متدينا" ؟
ادولـــف	: لا أبـــدا .
هنرييت	: ان الأمر كله لغريب . ما هو الدين ؟
ادولـــف	: بصراحة ، لا أدرى . وما أظن احدا يستطيع ان يقول لك . انه يبدو لى أحيانا وكأنه نوع من العقاب ، لأنه لا يصير متدينا الا من يعانى من تبكيت الضمير .
هنرييت	: نعم انه نوع من العقاب . لقد عـــرفت الآن ما ينبغى علىّ أن أفعل . وداعا يا ادولف .
ادولـــف	: أراحلة انت عن هنـــا ؟
هنرييت	: نعم ، راحلة الى حيث قلت . وداعا ياصديقى وداعا يا مدام كاثرين .
مدام كاثرين	: اذاهبة بمثل هذه السرعة ؟
هنرييت	: نعـــم .

ادولـــف : أتريدين أن ارافقك ؟

هنرييت : لا . لا لزوم لذلك . سأذهب وحدى .وحدى كما جئت هنا ذات يوم من أيام الربيع معتقدة انني اصلح لغير مكانى ، متصورة ان هناك شيئا اسمه الحرية ، تلك التي لاوجود لهـــا . وداعا ! (تخرج)

مدام كاثرين : ارجو الا تعود هذه السيدة ابدا . وبودى أن لم تكن جاءت الى هنا ابدا .

ادولـــف : من يدرى فلعله كانت لها رسالة تؤديها هنا . ومهما يكن الأمر فهى جديرة بالرثاء ، وبلا حدود .

مدام كاثرين : لا انكر هذا . لأننا جميعا نستحق الرثاء .

ادولـــف : بل انها اقلنا جميعا فيما ارتكبت من خطأ .

مدام كاثرين : هذا جائز ، ولكنه غير محتمل .

ادولـــف : انك صارمة على الدوام يامدام كاثرين . قولى. لى : ألم ترتكبى خطيئة أبدا ؟

مدام كاثرين : (فزعة) بالطبع ، مادمت مخلوقا آدميـــا خاطئا . ولكن اذا علمتك التجربة درسا فمن

حقك أن تبصّر به الآخرين . وقد تفعل ذلك دون أن تعتبر صارما أو جاحدا . ألم أقــل للسيد موريس في اللحظة التى دخلت فيها تلك السيدة هنا : احترس ! ابتعد ! ولكنه لم يفعل ، فسقط . تماما كما يفعل الطفل الخبيث العنيد . وعندما يتصرف رجل على هذا النحو يجب أن يضرب على مقعدته كما يضرب الطفل العاصى .

دولــف : طيب . أوَلم يضرب هو على مقعدته ؟

مدام كاثرين : نعم ، ولكن يبدو انه لم ينل ما يكفيه ، لأنه مازال دائرا يشكو .

ادولــف : هذا تفسير شائع جدا للموقف المعقد كله .

مدام كاثرين : أوه . أنت لا تفعل شيئا سوى ان تفلسف سيئاتك ، وفيما أنت منهمك في ذلك تجيء الشرطة فتحل المعضلة . والآن ارجو أن تتركنى لحساباتى .

ادولــف : هاقد حضر موريس .

مدام كاثرين : نعم . بارك الله فيه !

موريس : (يدخل وجهه محتقن جدا ويتخذ مقعداقرب ادولف) مساء الخـــير .

(مدام كاثرين تومئ وتمضى في حساباتها)

ادولـــف : كيف تسير الأمـــور معك ؟

موريس : أوه ، بدأت في الوضوح .

ادولـــف : (يناوله جريدة ولكن موريس لا يأخذهـــا) اذن فقد قرأت الجريدة ؟

موريس : لا ، أنا ماعدت اقرأ الجرائد. لا شيء فيهـــا سوى الفضائح .

ادولـــف : ولكن من الخير لك ان تقرأها أولا . . .

موريس : لا . ليس فيها سوى الأكاذيب . . . ولكـــن اسمع ،لقـــد وجـــدت خيطـــا جديـــدا . أتستطيع ان تخمن من الذى ارتكب ذلكالقتل؟

ادولـــف : لا أحد . لا أحـــد .

موريس : أتعلم اين كانت هنرييت خلال ربع الساعـــة الذى كانت الطفلة فيه وحدها ؟ . . . لقـــد كانت هناك . وهى التى فعلتها .

ادولـــف : انلك مجنون يا رجـــل !

موريس : لست انا بل هنرييت هى المجنونة . انهـــــا تتهمنى وقد هددت بالابلاغ عنى .

ادولـــف : لقد كانت هنرييت هنا منذ لحظة وفاهـــــت بنفس الكلمات التى تقولها . كلا كما مجنون، لأن تشريحاً ثانياً أثبت أن الطفلة ماتت بمرض معروف جدا نسيت اسمه .

موريس : هذا ليس صحيحا .

ادولـــف : هذا ما قالته هى ايضا . ولكن التقرير الرسمى منشور في الجريدة .

موريس : تقرير ؟ اذن فقد اصطنعوه !

ادولـــف : وهذا ماقالته هى ايضا . كلا كما يقاسى مـــن نفس المرض العقلى . غير انى افلحت معها في ان جعلتها تدرك حالتهـــا .

موريس : وأين ذهبت ؟

ادولـــف : ذهبت بعيدا عن هنا لتبدأ حياة جديدة .

موريس : هم . . م . . . م . هل ذهبت الى الجنـــازة؟

ادولـــف : نعـــم .

موريس : وماذا بعـــد ؟

ادولــف : كانت جين تبدو هادئة ولم تنطق بكلمةسوء عنك

موريس : انها امرأة طيبة .

ادولــف : لماذا هجرتها اذن ؟

موريس : لأنني كنت مجنونا ، يملؤني العُجْب على الأخص ، وحين كنا نشرب الشمبانيا . . .

ادولــف : اتستطيع ان تفهم الآن لماذا بكت جين عندما شربتما الشمبانيا ؟

موريس : نعم ، افهم ذلك الآن . . . ولهذا السبب كتبت اليها بالفعل سائلا اياهاالصفح . . . اتعتقد انها ستصفح عني ؟

ادولــف : اعتقد ذلك ، لأنه ليس من شيمتها ان تكره احدا .

موريس : او تعتقد ان صفحها عني سيكون تاما بحيث تعود اليّ ؟

ادولــف : لا أعرف عن ذلك . لقد اظهرت من القصور في الوفاء بعهودك ما يجعل من المشكوك فيه أن تكل اليك مصيرها بعد الآن .

موريس : ولكنى اشعر بأن حبها لى لم ينته ، واعلم انها ستعود الى .

ادولف : وكيف عرفت ذلك ؟ كيف تعتقد به ؟ أو لم يصل بك الأمر إلى اتهامها هى وأخيها الفاضل بارسال الشرطة وراء هنرييت بغية الانتقام ؟

موريس : ولكنى ماعدت اعتقد بذلك ... بمعنى انى اظن أن أميل زبون طيب جدا .

مدام كاترين : اسمع الآن ! ماذا تقول عن السيد اميل ؟ بالطبع انه ليس الا عاملا ، ولكن ليت كل الناس على مثل استقامته ... ما فيه من شائبه ، بل كثير من الذوق واللباقة .

اميل : (يدخل) السيد جيرار ؟

موريس : انا هو .

اميل : معذرة ، لدى ما أريد أن اقوله لك على انفراد .

موريس : قل ما عندك فكلنا اصدقاء هنا .

(يدخل القسيس ويجلس)

اميـــل : (مع نظرة إلى القسيس) ربما بعد . . .

موريس : لا بأس ان القسيس صديق ايضا ، ولو اننا على خـــلاف

اميـــل : اتعرف من انا ياسيد جيرار ؟ لقد طلبت مني اختى ان اعطيك هذه اللفافة ردا على خطابك .

(موريس يتناول اللفافة ويفتحها)

اميـــل : بقى علىّ الآن ان اضيف انني ، بوصف كونى من ناحية ما الوصى على اختى ، اعتبرك برىء الذمة من كل الالتزامات ، حيث اصبحت العلاقة الطبيعية بينكما الآن لا وجود لها بالمرة .

موريس : ولكن لابد انك تحمل لى موجدة ؟

اميـــل : لابد ؟ لا استطيع أن أرى سببا لذلك . ومـــن الناحية الأخرى أود أن أحصل على تصريـــح منك هنا في حضور اصدقائك ، بأنك لا تعتقد أنني أو اختى من الدناءة بحيث نرسل الشرطة في اثر الآنسة هنرييت .

موريس : اريد أن اسحب ماقلت واقدم اليك اعتذارى اذا تكرمت بقبوله . .

اميـــل : انه مقبول . وارجو لكم جميعا مساء طيبـــا.
(يخـــرج)

الجميـــع : مساء الخـــير .

موريس : رباط الرقبة والقفاز اللذان قدمتهما لى جـــين ليلة افتتاح مسرحيتى ، واللذان تركت هنرييت تلقيهما في الموقد . من يمكن ان يكون قـــد التقطهما ؟ كل شيء آخذ في الانكشاف ، كل شيء يعيد نفسه! وعندما اعطتهما لى في المدافن قالت لى انها تريدنى أن ابـــدو جميلا وجذابا لكى يحبنى الآخرون كذلك . . . وبقيت هى نفسها في البيت . . . لقد جرحها هذا جرحا عميقا بلا جدال . ليس من حقى أن أعـــاشر أفاضل الناس . أوه ، أأنا الذى فعلت هذا ؟ هزأت بهدية آتية من قلب طيب ، واحتقرت قربانا مقدما من اجل صالحى الخاص . هـــذا ما طوّحت به لأحصل على غصن غار ملـــقى فوق كومة النفايات ، وتمثال نصفى قد لايكون له مكان الا في مخزن المهملات . . . أيهـــا القسيس ، الآن أتقدم اليك .

القسيس : مرحبـــا .

موريس : اعطنى الكلمة التى انا بحاجة اليها .

القسيس : اتتوقع منى ان اناقض اتهاماتك لنفسك واقول لك انك لم ترتكب خطأ ؟

موريس : قل كلمة الحـــق . !

القسيس : بعد اذنك سأقول اذن إننى وجدت مســـلكك بغيضا بمثل ما وجدته أنت نفسك .

موريس : ماذا استطيع ان افعل ؟ ماذا استطيع ان افعل للخروج من هـــذا ؟

القسيس : أنت تعلم ذلك علمى به .

موريس : لا ، كل ما اعلمه انى ضعت وأن حياتى قد تحطمت وعيشى قد انقطع وسمعتى في هـــذا العالم قد دمرت إلى الأبد .

القسيس : وهكذا أنت تبحث عن وجود جديد في عالم افضل ، بدأت الآن تعتقد بوجوده ؟

موريس : نعم ، هذا هو الواقع .

القسيس : لقد كنت تعيش بالجسد وتريد الآن أن

تعيش بالروح ، أواثق انت إذن انه لم يبق في هذا العالم ما يستهويك ؟

موريس : لاشيء قط . فالشرف خيال ، والذهب ليس الآحشفا باليا ، والنساء لسن الا عوامل اثارة فلأخبئ نفسى وراء جدرانكم المقدسة وأنسى هذا الحلم المفزع الذى ملأ يومين وطال دهرين .

القسيس : وهو كذلك . ولكن هنا ليس المكان المناسب للافاضة في هذا الموضوع فلنتواعد على اللقاء في الساعة التاسعة من هذا المساء في كنيسة سان جرمان ، لأننى سألقى عظة على نزلاء سان لازار ، وقد تكون هذه أول خطوة لك على طريق التوبة الصعب .

موريس : التوبة ؟

القسيس نعم ، اليس هذا ماأردته . . .

موريس : نعم ، نعم !

القسيس : وبعدها سنقوم الليل ما بين منتصفه والساعة الثانية .

موريس : سيكون ذلك رائعا !

القسيس : اعطني يدك لكيلا ترجع عن عزمك .

موريس : (يقف ويمد يده) هاك يدى ومعها عزيمتى .

خادمــــة : (تدخل) محادثة تليفونية للسيد موريس .

موريس : ممن ؟

الخادمة : من المسرح .

(موريس يحاول ان يذهب ولكن القسيس يتشبث بيده)

القسيس : (للخادمة) اسألى ماذا يريدون .

الخادمــــة : يريدون ان يعرفوا ما اذا كان السيد موريس سيحضر العرض الليلة .

القسيس : (لموريس الذى يحاول ان يذهب) لا ، لن اتركك تذهب .

موريس : اى عرض ذلك ؟

ادولـــف : لماذا لا تقرأ الصحيفة ؟

مدام كاثرين والقسيس : ألم يقرأ الصحيفة ؟

موريس : كلها كذب ورجم . (للخادمة) قولى لهم

انى مرتبط الليلة . انا ذاهب الى الكنيسة .

(تخرج الخادمة الى المطبخ)

ادولف : مادمت لاتريد أن تقرأ الصحيفة فان على أن اخبرك بأن مسرحيتك قد استؤنف عرضها الآن بعد ان برئت ساحتك . وقد رتب اصدقاؤك من الأدباء احتفالا هذا المساء اعترافا بمقدرتك التى لامراء فيها .

موريس : هذا ليس صحيحا .

الجميع : بل صحيح .

موريس : (بعد سكوت) أنا لا أستحقه .

القسيس : عظيم !

ادولف : وفضلا عن هذا يا موريس . . .

موريس : (مغطيا وجهه بيديه) فضلا عن هذا !

مدام كاثرين : مائة الف فرنك ! اترى الآن انها عادت اليك. والفيلا خارج المدينة . كل شيء سيعود فيما عدا الآنسة هنرييت .

القسيس : (مبتسما) يجب أن تأخذى هذه المسألة بشيء من الجد يا مدام كاثرين .

مدام كاثرين : أوه ، لا أستطيـــع . . . لا أستطيع أن التزم الجد اكثر من هذا .

(تنفجر ضاحكة وتحاول ان تكتم ضحكهـــا بمنديلها) .

ادولـــف : اسمع يا موريس . ان المسرحية تبدأ في الثامنة.

القسيس : ولكن الصلاة في الكنيسة في التاسعة .

ادولـــف : موريس !

مدام كاثرين : فلنسمع ماذا سيكون الختام يا سيد موريس.

(موريس يضع رأسه بين يديه على المنضدة)

ادولـــف : أطلقه أيها القسيس .

القسيس : ليس لى ان اطلق أو أقيد . عليه هو ان يفعل ذلك .

موريس : (ينهض) سأذهب مع القسيس .

القسيس : لا يا صديقى الشاب . لا شيء عندى اقدمه لك سوى اللوم ، وهو ما تستطيع ان تقدمـــــه لنفسك . انت مدين بواجب نحو نفسك ونحو سمعتك . وكونك انتهيت من هذه الأزمـــة

بالسرعة التى حدثت دليـــل عندى على انك تحملت عقابك صارما طويلا كالدهر .ومادام الله قد عافاك فلاشيء عندى اضيفه .

موريس : ولكن لماذا كان العذاب بمثل تلك القسوة في حين كنت بريئـــا ؟

القسيس : قسوة ؟ في يومين اثنين ! ثم انك لم تكــــــن بريئا . لأننا يجب أن نتحمل مسئولية افكارنا والفاظنا ورغباتنا كذلك . ولقد كنت قاتـــلا في افكارك حين تمنيت الموت لطفلتك .

موريس : انت على حق . ولكنى قد اتخذت قـــرارى. سأقابلك الليلة في الكنيسة ليكون لى حساب مع نفسى . . . أما المسرح فسأذهب اليه مساء غد.

مدام كاثرين : حل موفق ياسيد موريس .

ادولــــف : نعم . هذا هو الحـــل .

القسيس : نعم هـــو ذاك .

ســـــتار

★★★